سلسلة تيسير طلب العلم

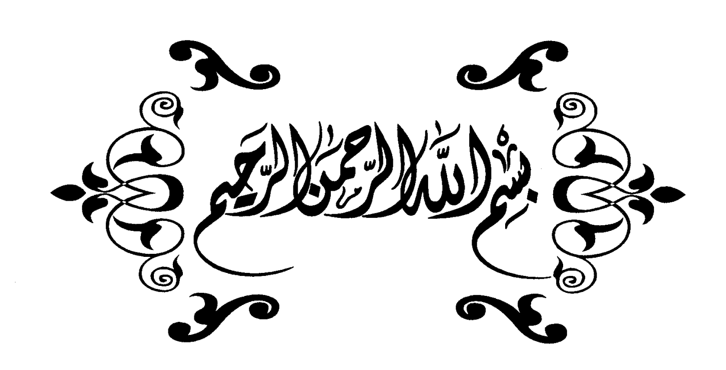
شرح
لمعة الاعتقاد
الهادي إلى سبيل الرشاد

لفضيلة الشيخ
محمد بن صالح عثيمين
رحمه الله تعالى

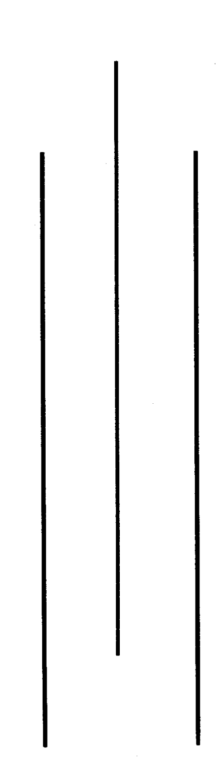
جمع وتحقيق
أبو مالك محمد بن حامد بن عبد الوهاب

مع تعليقات العلامة
عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين
حفظه الله تعالى

دار البصيرة


بسم الله الرحمن الرحيم


العصرية للطباعة
هاتف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨




شرح
لمعة الاعتقاد
الهادي إلى سبيل الرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم



دار البصيرة

جمهورية مصر العربية

الإسكندرية - ٢٤ ش كانوب - كامب شيزار - ت : ٥٩٠١٥٨٠

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله. اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد ... **ثم أما بعد ..**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (سورة النساء: ١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١).

فإن من فضل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على هذه الأمة، أن قيَّد لها علماء ربانيين، على الحق ظاهرين، وبالسنة عاملين، وبالتوحيد والعقيدة السلفية داعين.

وهذه آثارهم شاهدة عليهم، ومن ذلك كتاب «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ـ رحمه الله ـ والذي شرحه سماحة العلاَّمة أبي عبد الله محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ والذي قمنا بالتعليق عليه وتخريج أحاديثه.

سائلين المولى ـ عزَّ وجلَّ ـ أن ينفعنا به، وينفع به كل من قرأه واطلع عليه، وساعد على طبعه ونشره. هو ولي ذلك ونعم الوكيل.

وكتب

أبو مالك/ ***محمد بن حامد بن عبد الوهاب***

كفر الشيخ ١٤٢٢/٨/٣هـ

مقدمة شرح لمعة الاعتقاد

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا ـ.

أما بعد ..

فهذا تعليق مختصر على كتاب (لمعة الاعتقاد) الذي ألفه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي المولود في شعبان ٥٤١هـ بقرية من أعمال نابلس المتوفى يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠هـ بدمشق ـ رحمه الله ـ.

وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه زبدة العقيدة، ومن ثم قررت رئاسة المعاهد العلمية دراسته في مطلع القسم الثانوي في المعاهد في السنة الأولى منه، ليكون ركيزة يعتمد عليها في هذه المرحلة.

ونظرًا لأهمية الكتاب موضوعًا ومنهجًا وعدم وجود شرح له، فقد عقدت العزم مستعينًا بالله مستلهمًا منه الصواب في القصد والعمل، على أن أضع عليه كلمات يسيرة تكشف غوامضه وتبين موارده وتبرز فوائده.

والله أرجو أن لا يكلني إلى نفسي طرفة عين وأن يمدني بروح من عنده وتوفيق وأن يجعل عملي مباركًا ونافعًا إنه جواد كريم.

ابن عثيمين

قواعد هامة في الأسماء والصفات

وقبل الدخول في صميم الكتاب أحب أن أقدم قواعد هامة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

❖ **القاعدة الأولى ـ في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته:**

الواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والنبي ﷺ يتكلم باللسان العربي فوجب إبقاء دلالة كلام الله وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم وهو حرام لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٣٣).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (سورة المائدة: ٦٤). فإن ظاهر الآية أن لله يدين حقيقتين فيجب إثبات ذلك له فإن قال قائل: المراد بهما القوة قلنا له: هذا صرف للكلام عن ظاهره فلا يجوز القول به لأنه قول على الله بلا علم.

❖ **القاعدة الثانية ـ في أسماء الله:**

وتحت هذه القاعدة فروع:

الفرع الأول ـ أسماء الله كلها حسنى أي بالغة في الحسن غايته لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه[1]. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (سورة الأعراف: ١٨٠).

---

(١) قال ابن الوزير ـ رحمه الله ـ:

«وذلك أن الحسن من صفات الألفاظ ومن صفات المعاني، فكل لفظ له معنيان حسن وأحسن، فالمراد الأحسن منهما، حتى يصح جمعه على حسنى، ولا يفسر بالحسن فيهما إلا الأحسن، ولهذا الوجه» أهـ =

مثال ذلك: الرحمن فهو اسم من أسماء الله تعالى، دال على صفة عظيمة هي الرحمة الواسعة.

ومن ثم نعرف أنه ليس من أسماء الله: الدهر: لأنه لا يتضمن معنى يبلغ غاية الحسن فأما قوله ﷺ: **«لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»**[1]. فمعناه: مالك الدهر المتصرف فيه. بدليل قوله في الرواية الثانية عن الله تعالى: **«بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»**[2].

= نقلاً من «إيثار الحق على الخلق ص١٦٦»، وانظر: مدارج السالكين (١/ ١٢٥) نقض تأسيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ١٠) تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ١٢٠) شرح التدمرية لابن عثيمين (ص١٨) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٧٩٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٣٢٦).

وقال ابن عثيمين في «القواعد المثلى»: والحُسْنُ في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده ويكون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك: «العزيز الحكيم» فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرًا. فيكون كل منهما دالاً على الكمال الخاص الذي يقتضيه وهو العِزَّة في العزيز والحُكْم والحِكْمة في الحكيم والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عِزَّته تعالى مقرونة بالحكمة فعِزَّته لا تقتضي ظُلمًا وجورًا وسُوء فعلٍ كما قد يكون من أعزَّاء المخلوقين فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويُسيءُ التصرف. وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعزِّ الكامل بخلاف حُكم المخلوق وحكمته فإنَّهما يعتريهما الذُّل» أهـ. (ص١٢).

(١) متفق عليه: البخاري (٤٨٢٦) ومسلم (٢٢٤٦).

ومعنى قوله **«فإن الله هو الدهر»** أي فاعل النوازل وخالق الكائنات. وهو مجاز وسببه أن العرب كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب فيقولون: يا خيبة الدهر، ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر فقال النبي ﷺ **«لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»** أي لا تسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها، وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى.

(٢) متفق عليه: البخاري (٤٨٢٦) ومسلم (٢٢٤٦).

الفرع الثاني- أسماء الله غير محصورة بعدد معين لقوله ﷺ في الحديث المشهور: «**أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[(١)]. وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به[(٢)].

والجمع بين هذا وبين قوله في الحديث الصحيح: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»[(٣)]. إن معنى هذا الحديث: إن من أسماء الله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد[(٤)]. ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣٩١) والحاكم (١/ ٥٠٩) وابن حبان (٢٣٧٢/ موارد) وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

(٢) خالف في القول بعدم الحصر (ابن حزم) حيث يرى أنها تسعة وتسعون فقط، لظاهر الحديث.
انظر: المحلى (١/ ٣٦)، وانظر الرد عليه في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢/ ٤٨٢-٤٨٦)، وفتح الباري (١١/ ٢٢٤ ط الريان).

(٣) متفق عليه: البخاري (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧).

(٤) وقد نقل الإمام النووي - رحمه الله - اتفاق العلماء على هذا، فقال: «واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء» أهـ.
(شرح النووي لصحيح مسلم ١٧/ ٥ دار الفكر).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إن هذا هو الذي عليه جمهور العلماء» أهـ. (درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٣٣٢-٣٣٣).

الفرع الثالث ـ أسماء الله لا تثبت بالعقل وإنما تثبت بالشـرع فهي توقيفية يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع فـلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسـماء فوجب الوقوف في ذلك على الشرع[١]، ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك.

الفـرع الرابع ـ كل اسم من أسمـاء الله فإنه يدل على ذات الله، وعلى الصـفة التي تضمنهـا، وعلى الأثر المترتب عليـه إن كان متـعديًا، ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله[٢].

مثال ذلك في غـير المتعدي: العظيم: فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثـباته اسمًا من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة وهي العظمة.؛ ومثال ذلك في المتعدي: الرحمن: فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسمًا من أسماء الله، دالاً على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة وهي: الرحمة، وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو أنه يرحم من يشاء.

---

(١) قال الإمام الخطَّابي ـ رحمه الله ـ «ومن عِلْم هذا البـاب، أعني: الأسماء والصفات، ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط: أنه لا يتجاوز فيها التوقيف» أهـ (شأن الدعاء ص١١١).
وقال الإمام علاء الدين بن العطار ـ رحمه الله ـ في مـعرض حديثه عن العقل وحدوده: «... وأما في الأصل (أي أمور العقائد التي منها الأسماء الحسنى) فلا مدخل له أصلاً ألبتة سوى الوقوف عنده (أي النص)، فما أثبـته سبحانه لنفسـه وفي كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ أثبتناه، ومـا نفاه نفيناه» أهـ. (الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ص٢٣ ط دار الكتب الأثرية).

(٢) انظر للتوسع في آثار الأسـماء الحسنى: مفتـاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٩٠) القـواعد المثلى لابن عثيمين (ص١٠-١١)، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحـسنى لمحمد بن حمد الحمود (جزءان) يذكر الاسـم ثم أثر الإيمان به، رسالة (إن ربك حكيم عليم) لـعبد العـزيز بن ناصر الجلـيل، شرح أسماء الله تعالى الحسنى، للدكتورة حصة بنت عبد العزيز الصغير.

❖ القاعدة الثالثة - في صفات الله:

وتحتها فروع أيضًا:

الفرع الأول - صفات الله كلها عليا، صفات كمال ومدح ليس فيها نقص بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعلو وغير ذلك لقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ (سورة النحل: ٦٠). ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته[1].

وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه كالموت والجهل والعجز والصمم والعمى ونحو ذلك؛ لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص؛ ولأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصًا لمنافاة النقص للربوبية.

وإذا كانت الصفة كمالاً من وجه ونقصًا من وجه لم تكن ثابتة لله ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق بل لابد من التفصيل، فتثبت لله في الحال التي تكون كمالاً

---

(١) قال الشيخ - رحمه الله - في «القواعد المثلى»: «.. دلَّ على هذا - أي على أن صفات الله عزَّ وجلَّ كلها صفات كمال لا نقص فيها - السمع والعقل والفطرة.

اما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة النحل: ٦٠). والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى.

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة فلابد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (سورة الأحقاف: ٥). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة النحل: ٢٠-٢١). وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ (سورة مريم: ٤٢). وعلى قومه: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٦٦-٦٧). ثم إنه ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال وهي من الله تعالى فمعطي الكمال أولى به.

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته وهل تُحِبُّ وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟» أهـ ص٢١.

وتمتنع عليه في الحال التي تكون نقصًا كالمكر والكيد والخداع ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة مثلها؛ لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصًا في غير هذه الحال، فتثبت لله في الحال الأولى دون الثانية.

قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٣٠). ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (سورة الطارق: ١٥-١٦). ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (سورة النساء: ١٤٢). إلى غير ذلك.

فإذا قيل: هل يوصف الله بالمكر مثلاً؟

فلا تقل: نعم، ولا تقل: لا، ولكن قل: هو ماكر بمن يستحق ذلك. والله أعلم.

الفرع الثاني - صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية:

فالثبوتية: ما أثبتها الله لنفسه كالحياة والعلم والقدرة ويجب إثباتها لله على الوجه اللائق به لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته.

والسلبية: هي التي نفاها الله عن نفسه كالظلم فيجب نفيها عن الله لأن الله نفاها عن نفسه، لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها لله على الوجه الأكمل؛ لأن النفي لا يكون كمالاً حتى يتضمن ثبوتًا.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف: ٤٩). فيجب نفي الظلم عن الله مع اعتقاد ثبوت العدل لله على الوجه الأكمل[1].

الفرع الثالث - الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين ذاتية وفعلية:

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها كالسمع والبصر.

---

(١) انظر بتوسع كلام الشيخ - رحمه الله - في ذلك الفرع في «القواعد المثلى» القاعدة الثالثة: ص٢٤).

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش والمجيء، وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام متعلق بمشيئة يتكلم بما شاء متى شاء.

الفرع الرابع ـ كل صفة من صفات الله فإنه يتوجه عليها ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول ـ هل هي حقيقية ولماذا؟

السؤال الثاني ـ هل يجوز تكييفها ولماذا؟

السؤال الثالث ـ هل تماثل صفات المخلوقين ولماذا.

فجواب السؤال الأول ـ نعم حقيقية لأن الأصل في الكلام الحقيقة فلا يعدل عنها إلا بدليل صحيح يمنع منها.

وجواب الثاني ـ لا يجوز تكييفها لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (سورة طه: ١١٠). ولأن العقل لا يمكنه إدراك كيفية صفات الله.

وجواب الثالث ـ لا تماثل صفات المخلوقين لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى: ١١). ولأن الله مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه فلا يمكن أن يماثل المخلوق لأنه ناقص.

والفرق بين التمثيل والتكييف: أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل، والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل.

مثال التكييف: أن يقول قائل: يَدُ الله كَيَد الإنسان.

ومثال التمثيل: أن يتخيل ليد الله كيفية معينة لا مثيل لها في أيدي المخلوقين فلا يجوز هذا التخيل.

❖ القاعدة الرابعة ـ فيما نرد به على المعطلة[1]:

المعطلة هم الذين ينكرون شيئًا من أسماء الله أو صفاته ويحرفون النصوص عن ظاهرها ويقال لهم المؤولة، والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم أن نقول: إن قولهم خلاف ظاهر النصوص وخلاف طريقة السلف وليس عليه دليل صحيح، وربما يكون في بعض الصفات وجه رابع أو أكثر.

---

(١) **المعطلة**: سُموا بذلك لأنهم ينفون عن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بعض أسمائه أو صفاته، أو يصرفونها على غير ظاهرها. وهم ما يسمون بالمعتزلة.

ومن أقوالهم وآرائهم: نفي الصفات عن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كالعلم والقدرة والسمع والبصر، وأن كلام الله محدث وإرادته محدثة .. ويريد من عباده ما لا يكون، ويكون ما لا يريد، وأنه لو لم يعص خلقه لكان قبيحًا به الإتيان بعوضه، وأن الله تعالى لا يقدر على مقدورات غيره، وأنه لم يخلق أفعال عباده، بل هم الخالقون لها، وقد نفوا قضاء الله وقدره في معاصي العباد وإضافة خلقها إلى فاعلها، .. إلى غير ذلك من الشناعات، فمذهب المعتزلة مركب من مذهب الجهمية في نفي الصفات والقدر والاعتزال.

انظر: الفَرق بين الفِرَق (ص٢٠، ٢٤، ١١٤) الإبانة (ص١٤١) الملل والنحل (١/٣٨) مجموع الفتاوى (١٣/٩٧-٩٩).

مقدمة لمعة الاعتقاد

قال الشَّيْخُ الإمامُ العالِمُ الأوْحَدُ شَرَفُ الإسْلام مُفْتِي الفِرَقِ وقُدْوَةُ الأنام أوْحَدُ الزَّمانِ مُوَفَّقُ الدِّينِ أبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أحْمَدَ بن مُحَمَّدِ بْنِ قُدامَةَ المَقْدِسيُّ ـ قَدَّس اللهُ تَعالَى رُوحَهُ وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ ـ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ـ الحَمْدُ للهِ المَحْمُودِ بِكُلِّ لِسانٍ، المَعْبُودِ في كُلِّ زَمانٍ، الَّذي لا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكانٌ، وَلا يَشْغَلُهُ شَأنٌ عَنْ شَأنٍ، جَلَّ عَنِ الأشْباهِ وَالأنْدادِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الصَّاحِبَةِ والأوْلادِ، وَنَفَذَ حُكْمُهُ في جَمِيعِ العِبادِ، لا تُمَثِّلُهُ العُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ، وَلا تَتَوَهَّمُهُ القُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى: ١١).

٢ ـ لَهُ الأسْمَاءُ الحُسْنَى وَالصِّفَاتُ العُلَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۞ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (سورة طه: ٥-٧). **أحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً، وَقَهَرَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْماً، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾** (سورة طه: ١١٠). **مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ في كِتابِهِ العَظِيمِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الكَرِيمِ.**

الشرح

اللمعة: تطلق في اللغة على معان: منها: البُلْغَةُ من العيش وهذا المعنى أنسب معنى لموضوع هذا الكتاب فمعنى لمعة الاعتقاد هنا: البلغة من الاعتقاد الصحيح المطابق لمذهب السلف ـ رضوان الله عليهم ـ.

والاعتقاد: الحكم الذهني الجازم، فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد.

❖ ما تضمنته خطبة الكتاب:

تضمنت خطبة المؤلف في هذا الكتاب ما يأتي:

١ ـ البداءة بالبسملة اقتداء بكتاب الله العظيم واتباعًا لسنة رسول الله ﷺ.

ومعنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: أي أفعل الشيء مستعينًا ومتبركًا بكل اسم من أسماء الله تعالى الموصوف بالرحمة الواسعة.

ومعنى ﴿اللَّهِ﴾: المألوه أي المعبود حبًا وتعظيمًا وتألهًا وشوقًا.

و﴿الرَّحْمَنِ﴾: ذو الرحمة الواسعة.

و﴿الرَّحِيمِ﴾: الموصل رحمته من شاء من خلقه.

فالفرق بين الرحمن والرحيم أن الأول باعتبار كون الرحمة وصفًا له والثاني باعتبارها فعلاً له يوصلها من شاء من خلقه[1].

٢ ـ الثناء على الله بالحمد.

والحمد[2]: ذكر أوصاف المحمود الكاملة وأفعاله الحميدة مع المحبة له والتعظيم.

---

(١) **وقيل في الفرق بينهما**: أن الرحمن دالٌ على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف، والثاني للفعل أي أن الأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

انظر: (الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٣٩)، بدائع الفوائد (١/ ٢٤)،

مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٩٦)، المحاضرات السنية في شرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٢)، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي (ص٤٩) ط دار الفضيلة.

(٢) الألف واللام للاستغراق، أي أن الله سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلا. والحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، وأما الشكر فهو ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان. وعلى هذا: فالحمد أعم من الشكر، لأن الحمد يقع على الثناء وعلى التحميد وعلى الشكر.

٣ ـ إن الله محمود بكل لسان ومعبود بكل مكان أي: مستحق وجائز أن يحمد بكل لغة ويعبد بكل بقعة.

٤ ـ سعة علم الله بكونه لا يخلو من علمه مكان، وكمال قدرته وإحاطته حيث لا يلهيه أمر عن أمر(١).

٥ ـ عظمته وكبرياؤه وترفعه عن كل شبيه وند مماثل لكمال صفاته من جميع الوجوه.

٦ ـ تنزهه وتقدسه عن كل زوجة وولد وذلك لكمال غناه.

٧ ـ تمام إرادته وسلطانه بنفوذ قضائه في جميع العباد فلا يمنعه قوة ملك ولا كثرة عدد ومال.

٨ ـ عظمة الله فوق ما يتصور بحيث لا تستطيع العقول له تمثيلاً ولا تتوهم القلوب له صورة؛ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٩ ـ اختصاص الله بالأسماء الحسنى والصفات العلى(٢).

١٠ ـ استواء الله على عرشه وهو علوه واستقراره عليه على الوجه اللائق به.

١١ ـ عموم ملكه للسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

١٢ ـ سعة علمه وقوة قهره وحكمه، وأن الخلق لا يحيطون به علمًا لقصور إدراكهم عما يستحقه الرب العظيم من صفات الكمال والعظمة.

---

(١) قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ (سورة سبأ:٢). وقال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا﴾ (سورة الأنعام:٥٩).

(٢) العلو في الصفات علو معنوي، أي: له الصفات العظيمة الشأن، الفاضلة الرفيعة في المعنى.

فصل

توحيد الأسماء والصفات

٣ ـ وَكُلُّ مَـاجَـاءَ في الْقُـرآنِ أوْ صَحَّ عَنِ الْمُصْطَفَى عَلَيْـهِ السَّلامُ مِنْ صِفَـاتِ الرَّحْمـنِ وَجَبَ الإيمانُ بِهِ وَتَلَقِّيـهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالقَبُـولِ، وَتَرْكُ التَّعَـرُّضِ لَهُ بِالرَّدِّ وَالتَّأْوِيلِ، وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ.

٤ ـ وَمَا أُشْكِلَ مِنْ ذلكَ وَجَبَ إثْبَاتُهُ[١] لفْظًا، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ، وَنَرُدُّ عِلْمَهُ إلى قَائِلِهِ، وَنَجْعَلُ عُهْدَتَهُ عَلَى نَاقِلِهِ، اتِّبَاعًا لِطَرِيقِ الرَّاسِخِينَ في الْعِلْمِ، الَّذِينَ

---

(١) قال الشيخ العلاَّمة محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفـتي المملكة العربية السعودية سابقًا في قول صاحب اللمعة: «وجب إثباته لفظًا»: وأما كلام صاحب اللمعة فهذه الكلمة مما لوحظ في هذه العقيدة، وقد لوحظ فيها عدة كلمات أخذت على المصنف، إذ لا يخفى أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته لفظًا ومعنى، واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز، وأن لها معانٍ حقيقية تليق بجلال الله وعظمته. وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر، ومعاني هذه الأسماء ظاهرة معروفة من القرآن كغيرها لا لبس فيها ولا إشكال ولا غموض، فقد أخذ أصحاب رسول الله ﷺ عنه القرآن ونقلوا عنه الأحاديث، لم يستشكلوا شيئًا من معاني هذه الآيات والأحاديث لأنها واضحة صريحة، وكذلك مَنْ بعدهم من القرون الفاضلة، كما يروى عن مالك لما سُئل عن قوله سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (سورة طه:٥). قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، وكذلك يروى معنى ذلك عن ربيعة شيخ مالك، ويروى عن أم سلمة مرفوعًا وموقوفًا.

أما كُنه الصفة وكيفيتها: فلا يعلمه إلا الله سبحانه، إذ الكلام في الصفة فرع عن الكلام في الموصوف، فكما لا يعلم كيف هو إلا هو فكذلك صفاته، وهو معنى قول مالك: «والكيف مجهول».

أما ما ذكره في «اللمعة» فإنه ينطبق على مذهب المفوضة، وهو من شر المذاهب وأخبثها، والمصنف رحمه الله إمام في السنة، وهو أبعد الناس عن مذهب المفوضة وغيرهم من المبتدعة، والله أعلم». أهـ.

(فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ٢٠٢، ٢٠٣).

أثْنَى عَلَيْهِمْ في كِتَابِهِ المُبين بقَوْلِهِ سُبْحانَهُ وتَعَالَى: ﴿والرَّاسِخُونَ في العِلْمِ يقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ (سورة آل عمران: ٧).

٥ ـ وَقَالَ في ذَمِّ مُبْتَغِي التَّأْوِيلِ لِمُتَشَابِهِ تَنْزِيلِهِ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (سورة آل عمران: ٧). فَجَعَلَ ابْتِغَاءَ التَّأْوِيلِ عَلامَةً عَلَى الزَّيْغِ وَقَرَنَهُ بِابْتِغَاءِ الْفِتْنَةِ في الذَّمِّ، ثُمَّ حَجَبَهُمْ عَمَّا أمَّلُوهُ، وَقَطَعَ أَطْمَاعَهُمْ عَمَّا قَصَدُوهُ، بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (سورة آل عمران: ٧).

الشرح

❖ **تقسيم نصوص الصفات وطريقة الناس فيها:**

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين: واضح جلي، ومشكل خفي.

فالواضح: ما اتضح لفظه ومعناه فيجب الإيمان به لفظًا وإثبات معناه حقًا بلا رد ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل؛ لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول والتسليم.

وأما المشكل: فهو ما لم يتضح معناه لإجمال في دلالته أو قصر في فهم قارئه فيجب إثبات لفظه لورود الشرع به والتوقف في معناه وترك التعرض له؛ لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه فنرد علمه إلى الله ورسوله.

❖ **وقد انقسمت طرق الناس في هذا المشكل إلى طريقين:**

الطريقة الأولى ـ طريقة الراسخين في العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا كلٌّ من عند ربنا، وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والإحاطة به،

تعظيمًا لله ورسوله وتأدبًا مع النصوص الشرعية، وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ (سورة آل عمران: ٧).

الطريقة الثانية ـ طريقة الزائغين الذين اتبعوا المتشابه طلبًا للفتنة وصدًا للناس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح، فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون لا إلى ما يريده الله ورسوله، وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض، وحاولوا الطعن في دلالتها بالمعارضة والنقص ليشككوا المسلمين في دلالتها ويعموهم عن هدايتها، وهؤلاء هم الذين ذمهم الله بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (سورة آل عمران: ٧).

❖ تحرير القول في النصوص من حيث الوضوح والإشكال:

إن الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي يختلف به الناس بحسب العلم والفهم، فقد يكون مشكلاً عن شخص ما هو واضح عند شخص آخر، والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق من ترك التعرض له والتخبط في معناه.

أما من حيث واقع النصوص الشرعية فليس فيها بحمد الله ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه فيما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم؛ لأن الله وصف القرآن بأنه نور مبين وبيان للناس وفرقان، وأنه أنزله تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة، وهذا يقتضي أن لا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع بحيث لا يُمكِّنُ أحدًا من الأمة معرفة معناه.

❖ معنى الرد والتأويل والتشبيه والتمثيل وحكم كل منها:

الرد: التكذيب والإنكار مثل أن يقول قائل: ليس لله يد لا حقيقة ولا مجازًا وهو كفر لأنه تكذيب لله ورسوله.

والتأويل: التفسير ـ والمراد به هنا تفسير نصوص الصفات ـ بغير ما أراد الله بها ورسوله وبخلاف ما فسرها به الصحابة والتابعون لهم بإحسان[1].

❖ **وحكم التأويل على ثلاثة أقسام:**

الأول ـ أن يكون صادرًا عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله فهذا معفو عنه؛ لأن هذا منتهى وسعه وقد قال الله تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ (سورة البقرة: ٢٨٦).

الثاني ـ أن يكون صادرًا عن هوى وتعصب، وله وجه في اللغة العربية، فهو فسق وليس بكفر، إلا أن يتضمن نقصًا أو عيبًا في حق الله فيكون كفرًا.

القسم الثالث ـ أن يكون صادرًا عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية فهذا كفر لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له.

---

(١) للتأويل معان ثلاث، ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ منها هنا معنى (التفسير).

أما الثاني ـ بمعنى عاقبة الشيء: وهذا إن وَرَدَ في طلب فتأويله فعله إن كان أمرًا، وتركه إن كان نهيًا، وإن وَرَدَ في خبر فتأويله وقوعه.

ومنه قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**﴾ (سورة الأعراف: ٥٣). إذن وَقَعَ ما أخبروا به. والمعنى: (هل ينظرون إلا عاقبة ومآل ما أخبروا به يوم يأتي ذلك المخبر به يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق).

ومنه قوله تعالى عن يوسف: ﴿**هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**﴾ (سورة يوسف: ١٠٠).

ومثال الطلب: قول عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحان اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأوّل القرآن) أي يعمل به، امتثالاً لأمره تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ (سورة النصر: ١-٣).

أما المعنى الثالث ـ فهو صرف اللفظ عن ظاهره. وهذا النوع ينقسم إلى محمود ومذموم، فإن دلَّ عليه دليل فهو محمود ويكون من القسم الأول وهو التفسير، وإن لم يدل عليه دليل فهو مذموم ويكون من باب التحريف وليس من باب التأويل.

انظر: شرح الواسطية (١/ ٦٣-٦٤)، تقريب التدمرية: ص٧٥-٧٧)، التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، للعلامة ابن جبرين: ص٤٤ ط الصميعي.

والتشبيه: إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات وهو كفر؛ لأنه من الشرك بالله، ويتضمن النقص في حق الله حيث شبهه بالمخلوق الناقص.

والتمثيل: إثبات مماثل لله فيما يختص به من حقوق أو صفات وهو كفر لأنه من الشرك بالله وتكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى:١١). ويتضمن النقص في حق الله حيث مثله بالمخلوق الناقص.

والفرق بين التمثيل والتشبيه: أن التمثيل يقتضي المساواة من كل وجه بخلاف التشبيه.

فصل

كلام أئمة السلف في الصفات

٦ ـ قَالَ الإمَامُ أبُو عَبْدِ الله أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ رضي الله عنه في قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إلى سَمَاءِ الدُّنْيا»[1] و«إن الله يُرَى في الْقِيَامَةِ»[2] وَمَا أشْبَهَ هذه الأحاديث: نُؤْمِنُ بِها وَنُصَدِّقُ بها لا كَيْفَ وَلا مَعْنَى وَلا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْها، وَنَعْلَمُ أنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ، ولا نَرُدُّ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَلا نَصِفُ اللهَ بِأكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِه نَفْسَهُ، بِلا حَدٍّ ولا غَايةٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى: ١١). ونَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِه نَفْسَهُ، لا نَتَعَدَّى ذَلِكَ، ولا يَبْلُغُهُ وصف الواصفين، نُؤمِنُ بالقرآن كُلِّه ـ مُحْكَمِه ومُتَشَابِهِه ـ وَلا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً من صِفَاتِه لِشَناعَةٍ شُنِّعَتْ، وَلا نَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالحَدِيثَ، وَلا نَعْلَمُ كَيْفَ كُنْهُ ذَلِكَ إلا بِتَصْدِيقِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَثْبِيتِ الْقُرْآنِ[3].

٧ ـ قَالَ الإمَامُ أبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ إدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه: آمَنْتُ بِالله وَبِمَا جَاءَ عَنْ الله عَلَى مُرَادِ الله، وآمَنْتُ بِرَسُولِ الله وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ الله على مُرَادِ رَسُولِ الله[4].

---

(١) متفق عليه: البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

وحديث النزول من الأحاديث المتواترة، نص على ذلك أبو زرعة الرازي كما في عمدة القاري (١٩٩/٧) وابن القيم في تهذيب السنن (١٠٨/٧) والذهبي في العلو (ص٧٣) وابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص٣٠٤) والكتاني في النظم المتناثر (ص١٩١) وغيرهم.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (١٨١).

(٣) هذا الأثر مشهور عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وقد رواه أبو يعلى في «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (٤٤/١)، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢٥١/٢).

(٤) انظر: الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : ص١٢١ قال شيخ الإسلام: «أما ما قاله الشافعي فإنه حق يجب على كل مسلم اعتقاده، ومن اعتقده ولم يأت بقول يناقضه، فإنه سلك سبيل السلامة في الدنيا والآخرة» أهـ.

٨ ـ وَعَلَى هذا دَرَجَ السَّلَفُ وَأئمَّةُ الخَلَفِ رضي اللهُ عنهم، كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ على الإقْرارِ، وَالإمْرارِ وَالإثْباتِ لِمَا وَرَدَ مِنَ الصِّفَاتِ في كِتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ.

الشرح

❖ ما تضمنه كلام الإمام أحمد في أحاديث النزول وشبهها:

تضمن كلام الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ الذي نقله عنده المؤلف ما يأتي:

١ ـ وجوب الإيمان والتصديق بما جاء عن رسول الله ﷺ من أحاديث الصفات من غير زيادة ولا نقص ولا حد ولا غاية.

٢ ـ أنه لا كيف ولا معنى أي: لا نكيف هذه الصفات؛ لأن تكييفها ممتنع لما سبق، وليس مراده أنه لا كيفية لصفاته؛ لأن صفاته ثابتة حقًا وكل شيء ثابت فلابد له من كيفية، لكن كيفية صفات الله غير معلومة لنا.

وقوله: (ولا معنى) أي: لا نثبت لها معنى يخالف ظاهرها كما فعله أهل التأويل وليس مراده نفي المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذي فسرها به السلف فإن هذا ثابت ويدل على هذا قوله: ولا نرد شيئًا منها، ونصفه بما وصف به نفسه ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ولا نعلم كيف كنه ذلك، فإن نفيه لرد شيء منها ونفيه لعلم كيفيتها دليل على إثبات المعنى المراد بها.

٣ ـ وجوب الإيمان بالقرآن كله محكمه: وهو ما اتضح معناه، ومتشابهه: وهو ما أشكل معناه، فنرد المتشابه إلى المحكم ليتضح معناه، فإن لم يتضح وجب الإيمان به لفظًا وتفويض معناه إلى الله تعالى.

❖ ما تضمنه كلام الإمام الشافعي:

تضمن كلام الإمام الشافعي ما يأتي:

١ ـ الإيمان بما جاء عن الله تعالى في كتابه المبين على ما أراده الله من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف.

٢ ـ الإيمان بما جاء به عن رسول الله ﷺ في سنة رسول الله ﷺ على ما أراده رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف.

وفي هذا الكلام رد على أهل التأويل وأهل التمثيل لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مراد الله ورسوله، فإن أهل التأويل نقصوا وأهل التمثيل زادوا.

❖ طريق السلف الذي درجوا عليه في الصفات:

الذي درج عليه السلف في الصفات هو الإقرار والإثبات لما ورد من صفات الله تعالى في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من غير تعرض لتأويله بما لا يتفق مع مراد الله ورسوله.

والاقتداء بهم في ذلك واجب لقوله ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[1]. رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني وجماعة.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٨) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٤/ ١٢٦) وابن ماجة (٤٢) وابن حبان (١٠٢/ موارد) وصححه الألباني في الإرواء (٢٤٥٥).

فصل

الترغيب في السنة والتحذير من البدعة

٩ - وَقَدْ أُمِرْنَا بِاقْتِفَاءِ آثَارِهِمْ وَالاهْتِدَاءِ بِمَنَاهِمْ، وَحُذِّرْنَا الْمُحْدَثَاتِ، وَأُخْبِرْنَا أَنَّهَا مِنَ الضَّلالاتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[١].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «اتَّبِعُوا وَلا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ»[٢].

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله كَلاماً مَعْنَاهُ: قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحْرَى، فَلَئِنْ قُلْتُمْ حَدَثَ بَعْدَهُمْ، فَمَا أَحْدَثَهُ إِلا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسِّرٌ، وَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصَرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ[٣].

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو الأَوْزَاعِيُّ رحمه الله: عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ[٤].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الأثر صحيح، رواه الدارمي (٢١١) والطبراني في الكبير (٩/١٦٨) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٠٤) والمروزي في السنة (٢٣) وابن وضاح في البدع والنهي عنها (١٠) والهيثمي في المجمع (١/١٨١) والألباني في الضعيفة (٥٣٣).

(٣) أورده أبو نعيم في الحلية (٥/٣٣٨) وابن الجوزي في مناقب عمر بن عبد العزيز، ص٨٣.

(٤) هذا الأثر مشهور عن الأوزاعي، أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص٧، والآجري في الشريعة ص٥٨، وابن عبد البر في جامعه ٢/ ١١٤ والذهبي في السيرة ٧/ ١٢٠. وصححه الألباني في مختصره للعلو ص١٣٨.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ الأَدْرَمِيُّ لِرَجُلٍ تَكَلَّمَ بِبِدْعَةٍ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا: هَلْ عَلِمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهَا؟ قَالَ: لَمْ يَعْلَمُوهَا، قَالَ: فَشَيْءٌ لَمْ يَعْلَمْهُ هؤلاء عَلِمْتَهُ؟ قَالَ الرَّجُلُ: فَإِنِّي أَقُولُ قَدْ عَلِمُوهَا، قَالَ: أَفَوَسِعَهُمْ أَنْ لا يَتَكَلَّمُوا بِهِ وَلا يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ، أَمْ لَمْ يَسَعْهُمْ؟ قَالَ: بَلَى وَسِعَهُمْ، قَالَ: فَشَيْءٌ وَسِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَخُلَفَاءَهُ، لا يَسَعُكَ أَنْتَ؟ فَانْقَطَعَ الرَّجُلُ، فَقَالَ الخَلِيفَةُ، وَكَانَ حَاضِراً: لا وَسَّعَ اللهُ على مَنْ لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَهُمْ[1].

وَهَكَذا مَنْ لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَالأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَالرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، مِنْ تِلاوَةِ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَقِراءَةِ أَخْبَارِهَا، وَإِمْرَارِهَا كَمَا جَاءَتْ، فَلا وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ.

الشرح

❖ السنة والبدعة وحكم كل منهما:

(السنة) : لغة الطريقة.

واصطلاحًا: ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل.

---

(١) قال العلاَّمة ابن جبرين ـ حفظه الله ـ:

«فإن قيل: إنها تجددت بعدهم، وأنهم لم يتوسعوا في العلم، ولو بحثت في وقتهم وظهرت لتكلموا فيها!!.

فالجواب: إن الذين أحدثوها لا يقاسون بالصحابة، ولا يدانونهم في العلم ولا في الفضل، وإحداثهم لهذه البدع دليل على أنهم قد زاغوا عن السبيل، وخالفوا هدي الصحابة، رغبة عن سنتهم، ورضوا لأنفسهم أن يسلكوا غير سبيلهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (سورة النساء: ١١٥). أهـ من التعليقات: ص٥٧.

واتباع السنة واجب لقـوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (سورة الأحزاب:٢١). وقوله ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»**.

والبدعة لغة: الشيء المستحدث.

واصطلاحًا: ما أحـدث في الدين على خلاف ما كان عليـه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل.

وهي حرام لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (سورة النساء:١١٥). وقوله ﷺ: **«وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**.

❖ الآثار الواردة في الترغيب بالسنة والتحذير من البدعة:

١ ـ من أقوال الصحابة:

قال ابن مسعود رضي الله عنه الصحابي الجليل المتوفي سنة ٣٢هـ عن بضع وستين سنة:

اتبعوا: أي التزموا آثار النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقص.

ولا تبتدعوا: لا تحدثوا بدعة في الدين.

فقد كفيتم: أي كفاكـم السـابقون مهمة الدين؛ حـيث أكمل الله تعالى الدين لنبيه ﷺ وأنزل قـوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (سورة المائدة:٣). فلا يحتـاج الدين إلى تكميل.

٢ ـ من أقوال التابعين:

قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، المولود سنة ٦٣ المتوفي سنة ١٠١هـ، قولاً يتضمن ما يأتي:

(أ) وجوب الوقوف حيث وقف القوم ـ يعني بهم النبي ﷺ وأصحابه فيما كانوا عليه من الدين عقيدة وعملاً ـ لأنهم وقفوا عن علم وبصيرة، ولو كان فيما حدث بعدهم خير لكانوا به أحرى.

(ب) أن ما أحدث بعدهم فليس فيه إلا مخالفة هديهم والزهد في سنتهم، وإلا فقد وصفوا من الدين ما يشفي وتكلموا فيه بما يكفي[1].

(جـ) أن من الناس من قصر في اتباعهم فكان جافيًا، ومن الناس من تجاوزهم فكان غاليًا، والصراط المستقيم ما بين الغلو والتقصير.

٣ ـ من أقوال تابعي التابعين:

قال الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧ :

عليك بآثار من سلف: الزم طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان لأنها مبنية على الكتاب والسنة.

وإن رفضك الناس: أبعدوك واجتنبوك.

وإياك وآراء الرجال: احذر آراء الرجال وهي ما قيل بمجرد الرأي من غير استناد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وإن زخرفوه: جملوا اللفظ وحسنوه فإن الباطل لا يعود حقًا بزخرفته وتحسينه.

❖ مناظرة جرت عند خليفة بين الأدرمي وصاحب بدعة:

لم أطلع على ترجمة للأدرمي ومن معه ولا أعلم نوع البدعة المذكورة، والمهم أن نعرف مراحل هذه المناظرة لنكتسب منها طريقًا لكيفية المناظرة بين الخصوم، وقد بنى الأدرمي ـ رحمه الله ـ مناظرته هذه على مراحل ليعبر من كل مرحلة إلى التي تليها حتى يفحم خصمه.

---

(١) انظر المناظرة في السير (١١/ ٣١٤) والبداية والنهاية (١٠/ ٣٣٥).

المرحلة الأولى- العلم فقد سأله الأدرمي هل علم هذه البدعة النبي ﷺ وخلفاؤه؟ قال البدعي: لم يعلموها.

وهذا النفي يتضمن انتقاص النبي ﷺ وخلفائه حيث كانوا جاهلين بما هو من أهم أمور الدين ومع ذلك فهو حجة على البدعي إذا كانوا لا يعلمونه. ولذلك انتقل به الأدرمي إلى:

المرحلة الثانية- إذا كانوا لا يعلمونها فكيف تعلمها أنت؟ هل يمكن أن يحجب الله عن رسوله ﷺ وخلفائه الراشدين علم شيء من الشريعة ويفتحه لك؟ فتراجع البدعي وقال: أقول قد علموها. فانتقل به إلى:

المرحلة الثالثة- إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم؟ أي: أمكنهم أن لا يتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟ فأجاب البدعي بأنهم وسعهم السكوت وعدم الكلام. فقال له الأدرمي: فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت، فانقطع الرجل وامتنع عن الجوابك؛ لأن الباب انسد أمامه.

فصوَّب الخليفة رأي الأدرمي ودعا بالضيق على من لم يسعه ما وسع النبي ﷺ وخلفاءه.

وهكذا كل صاحب باطل من بدعة أو غيرها فلابد أن يكون مآله الانقطاع عن الجواب.

فصل

ذكر بعض آيات الصفات

١٠ - فَمِمَّا جَاءَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ (سورة الرحمن: ٢٧).

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (سورة المائدة: ٦٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِخْبَاراً عَنْ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ قَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (سورة المائدة: ١١٦).

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ (سورة الفجر: ٢٢).

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ (سورة البقرة: ٢١٠).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (سورة المائدة: ١١٩).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (سورة المائدة: ٥٤).

وَقَوْلُهُ فِي الْكُفَّارِ: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة الفتح: ٦).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ (سورة محمد: ٢٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ (سورة التوبة: ٤٦)[1].

---

(١) قال العلامة ابن جبرين - حفظه الله - في التعليقات «ص٧١-٧٢»:

«في هذه الآيات دلالة على أن الأعمال الصالحة سبب للسعادة، والحصول على رضى الله ومحبته، التي تسبب الفلاح والفوز، وأن الأعمال السيئة سبب للشقاوة التي علامتها سخط الله وغضبه.

وفيها إثبات العلل، وارتباط الأسباب بالمسببات، وقد أنكر بعض الطوائف الارتباط بين العمل والجزاء. وفي الآيات إثبات بعض الصفات الفعلية التي يفعلها الله بمشيئته، كصفة الرضى، والغضب، والمحبة، والكراهة، والسخط، فنثبت ذلك لله كما أثبته لنفسه، ونفوض إليه العلم بكيفيتها.

=

الشرح

❖ **الصفات التي ذكرها المؤلف من صفات الله تعالى:**

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ من صفات الله الصفات الآتية، وسنتكلم عليها حسب ترتيب المؤلف.

❖ **الصفة الأولى. الوجه:**

الوجه ثابت لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (سورة الرحمن:٢٧). وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها**»[(١)]. متفق عليه. وأجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى[(٢)].

فيجب إثباته له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو وجه حقيقي يليق بالله. وقد فسره أهل التعطيل بالثواب، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

= وأنكر ذلك النفاة من المعتزلة والأشاعرة ونحوهم، قالوا: لأن المحبة رقة في القلب، تستدعي الميل إلى المحبوب، ولأن الغضب غليان دم القلب لطلب الإنتقام، وهذه الأحوال إنما تناسب المخلوق.

وتأولوا الرضى والمحبة: بالإكرام، والنصر، والثواب، وتأولوا الغضب والكراهة والسخط: بأنه العقاب، ونحو ذلك مما هو صرف للقرآن والسنة عما هو المتبادر منهما إلى أفهام المخاطبين» أهـ.

(١) متفق عليه: البخاري (١٢٩٥) ومسلم (١٦٢٨).

(٢) قال الأشعري في «الإبانة» ص١٢١: «فأخبر أن له سبحانه وجهًا لا يفنى ولا يلحقه الهلاك» أهـ.

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: «فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه، ونقر بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجوه أحد من المخلوقين، وعزَّ ربنا أن نشبهه بالمخلوقين، وجلَّ ربنا عما قالت المعطلة» أهـ (التوحيد ص١٠-١١).

وهذا هو ما قرره أبو بكر الإسماعيلي في كتابه «اعتقاد أئمة أهل الحديث» (ص٥٥) حيث قال: «ويثبتون أن له وجهًا . . » أهـ.

❖ الصفة الثانية ـ اليدان:

اليدان من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (سورة المائدة: ٦٤). وقال النبي ﷺ: «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار» ـ إلى قوله ـ: «بيده الأخرى القبض يرفع ويخفض»[١]. رواه مسلم والبخاري معناه. وأجمع السلف على إثبات اليدين لله[٢]. فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهما يدان حقيقيتان لله تعالى يليقان به.

وقد فسرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوها ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع أن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعًا كقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (سورة ص: ٧٥). وقوله ﷺ: «وبيده الأخرى القبض»[٣].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٦٨٤) ومسلم (٩٩٣).

(٢) قال الأشعري في «رسالة الثغر ص٧٢»: «أجمعوا على أنه عزَّ وجلَّ يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه» أهـ.

وقال الإسماعيلي في «عقيدة أهل الحديث» ص٥١): «وخلق آدم عليه السلام بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف يداه إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه بكيف» أهـ.

(٣) ولقد صرح الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ أن من لم يحمل النصوص على الحقيقة وتأوَّل صفة اليدين بالقدرة أو بالنعمة فقد أبطل الصفة.

فقد قال في «الفقه الأكبر ص٣٠٢»: «ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفة بلا كيف» أهـ.

وقال ابن بطال في الرد على من أوَّل صفة اليدين بالقدرة أو النعمة: «ويكفي في الرد على من زعم أنهما بمعنى القدرة أنهم أجمعوا على أن له قدرة واحدة في قول المثبتة ولا قدرة له في قول النفاة .. ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة أن قوله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (سورة ص: ٧٥). إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود، فلو كانت بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرته، ولقال إبليس: وأي فضيلة له عليَّ وأنا خلقتني بقدرتك، كما خلقته بقدرتك فلما قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (سورة ص: ٧٦). دلَّ على اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه. قال: ولا جائز أن يراد باليدين النعمتان لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق لأن النعم مخلوقة» أهـ. (فتح الباري ١٣/٣٩٣ ـ ٣٩٤).

❖ الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين وكيف نوفق بينها:

الأول ـ الإفراد: كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ (سورة الملك: ١).

الثاني ـ التثنية: كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (سورة المائدة: ٦٤).

الثالث ـ الجمع: كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ (سورة يس: ٧١).

❖ والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول:

الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر وحينئذ لا ينافي التثنية، على أنه قد قيل إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً.

❖ الصفة الثالثة ـ النفس:

النفس ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (سورة الأنعام: ٥٤). وقال عن عيسى أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (سورة المائدة: ١١٦). وقال النبي ﷺ: «**سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**»[١]. رواه مسلم.

وأجمع السلف على ثبوتها على الوجه اللائق به[٢]. فيجب إثباتها لله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٢٦) وأبو داود (١٥٠٣).

(٢) قال ابن خزيمة في «التوحيد ص٨»: (فالله جلَّ وعلا أثبت في كتابه أن له نفسًا وكذلك قد بين على لسان نبيه ﷺ أن له نفسًا كما أثبت النفس في كتابه وكفرت الجهمية بهذه الآيات وهذه السنن وغير ذلك من الأحاديث) أهـ.

❖ الصفة الرابعة ـ المجيء:

مجيء الله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿جَاءَ رَبُّكَ﴾ (سورة الفجر: ٢٢). و﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ (سورة البقرة: ٢١٠). وقال النبي ﷺ: «حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله أتاهم رب العالمين»[1]. متفق عليه. في حديث طويل.

وأجمع السلف على ثبوت المجيء لله تعالى. فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو مجيء حقيقي يليق بالله تعالى[2]. وقد فسره أهل التعطيل بمجيء أمره ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

❖ الصفة الخامسة ـ الرضى:

الرضى من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (سورة المائدة: ١١٩). وقال النبي ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[3]. رواه مسلم.

وأجمع السلف على إثبات الرضى لله تعالى. فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو رضى حقيقي يليق بالله تعالى. وقد فسره أهل التعطيل بالثواب ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

(٢) قال العلامة ابن جبرين ـ حفظه الله ـ في التعليقات ص٧٠:

«وأنكر ذلك الجهمية، والأشعرية ونحوهم، لأنه بزعمهم من خصائص المحدثات والمركبات، وتأولوا الآيات ونحوها بأن المراد: يجيء أمره. ونحو ذلك، وهو تأويل بعيد، يفتح لكل ملحد باب التقديرات في القرآن، ليصرفه عن المفهوم المتبادر إلى العقل من معناه، والقرآن ظاهر المعنى لكل مؤمن سليم الفطرة، وأيضًا فإن أمره سبحانه ينزل كل حين، لا يختص بيوم القيامة. ولو كان المراد أمره لصح نفي حكم الله بين العباد، والقول بأن الحكم من غيره، وهو باطل» أهـ.

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٣٤) والترمذي (١٨١٦) وأحمد (٣/ ١٠٠).

❖ **الصفة السادسة ـ المحبة:**

المحبة من صفات الله الثابتـة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ (سورة المائدة: ٥٤). وقال النبي ﷺ يوم خـيبر: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»[1]. متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله يُحِبُّ ويُحَبُّ. فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحـريف ولاتعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهي محـبة حقيقـية تليق بالله تعالى. وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب والرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

❖ **الصفة السابعة ـ الغضب:**

الغضب من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى فيمن قتل مؤمـنًا متعمدًا: ﴿**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ**﴾ (سورة النساء: ٩٣). وقال النبي ﷺ: «**إن الله كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**»[2]. متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله. فيـجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو غـضب حقيقي يليق بالله. وفسره أهل التـعطيل بالانتقام ونرد عليهم بما سـبق في القاعدة الرابعـة وبوجه رابع أن الله تعالى غـاير بين الغضب والانتـقام فـقال تعـالى: ﴿**فَلَمَّا آسَفُونَا**﴾. أي: أغضـبونا، ﴿**انتَقَمْنَا مِنْهُمْ**﴾ (سورة الزخرف: ٥٥). فجعل الانتقام نتيجة للغضب فدل على أنه غيره.

❖ **الصفة الثامنة: السخط:**

السخط من صفات الله الثابتة بالكتـاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ**﴾ (سورة محمد: ٢٨).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣١٩٤) ومسلم (٢٧١٥).

وكان من دعاء النبي ﷺ : «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك ..»[١]. الحديث رواه مسلم.

وأجمع السلف على ثبوت السخط لله. فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو سخط حقيقي يليق بالله. وفسره أهل التعطيل بالانتقام، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

❖ **الصفة التاسعة: الكراهة:**

الكراهة من الله لمن يستحقها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ (سورة التوبة: ٤٦). وقال النبي ﷺ : «إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال»[٢]. رواه البخاري.

وأجمع السلف على ثبوت ذلك لله. فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهي كراهة حقيقية من الله تليق به. وفسر أهل التعطيل الكراهة بالإبعاد، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٦) وأبو داود (٨٧٩) والترمذي (٣٤٩٣).
(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٩٧٥) وأحمد (٤/٢٤٦).

فصل

ذكر بعض أحاديث الصفات

١١ - ومِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلَى سَماءِ الدُّنْيا».

وَقَوْلُهُ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ».

وَقَوْلُهُ: «يَضْحَكُ اللهُ إلَى رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلانِ الجَنَّةَ».

فَهَذا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وَعُدِّلَتْ رِوايَتُهُ نُؤْمِنُ بِهِ وَلا نَرُدُّهُ، وَلا نَجْحَدُهُ، وَلا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ وَلا نُشَبِّهُهُ بِصِفَاتِ المَخْلُوقِينَ، وَلا بِسِمَاتِ المُحْدَثِينَ، وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لا شَبِيهَ لَهُ، وَلا نَظِيرَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى: ١١) . ، وَكُلُّ ما يُخَيَّلُ فِي الذِّهْنِ أَوْ خَطَرَ بِالْبَالِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى بِخِلافِهِ. وَمِنْ ذلِكَ:

قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (سورة طه: ٥) .

وَقَوْلُهُ: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ (سورة الملك: ١٦) .

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «رَبُّنا اللهُ الَّذِي فِي السَّماءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ»[١] .

وَقَالَ لِلْجارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّماءِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّها مُؤْمِنَةٌ»[٢] رَوَاهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُما مِنَ الأَئِمَّةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحُصَيْنٍ: «كَمْ إِلهًا تَعْبُدُ»؟ قَالَ: سَبْعَةً: سِتَّةً فِي الأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّماءِ، قَالَ: «مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّماءِ، قَالَ: «فَاتْرُكِ

---

(١) حديث ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٨٩٢) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٣٧) والحاكم (٣٤٤/١).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٥٣٧) وأبو داود (٣٢٨٢) وأحمد (٤٤٧/٥).

السِّتَّةَ وَاعْبُدِ الَّذي في السَّماءِ، وأنا أُعلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ» فَأَسْلَمَ وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسي»[1].

وَفِيما نُقِلَ مِنْ عَلاماتِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحابِهِ في الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ بِالأَرْضِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِلٰهَهُمْ فِي السَّماءِ.

وَرَوَى أَبُو داوُدَ في «سُنَنِهِ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ ما بَيْنَ سَماءٍ إِلَى سَماءٍ مَسيرَةُ كذا وكذا - وَذَكَرَ الخَبَرَ إِلَى قَوْلِهِ - : وَفَوْقَ ذلكَ الْعَرْشُ واللهُ سُبْحانَهُ فَوْقَ ذلكَ»[2].

فَهذا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللهُ عَلَى نَقْلِهِ وَقَبُولِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِرَدِّهِ وَلا تَأْوِيلِهِ وَلا تَشْبِيهِهِ وَلاَ تَمْثِيلِهِ.

سُئِلَ مالِكُ بْنُ أَنَسٍ - الإمامُ رحمه الله - فَقِيلَ: يا أبا عَبْدِ اللهِ ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (سورة طه: ٥). كيف استوى؟ فقال: الاسْتِواءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالإِيمانُ بِهِ واجِبٌ، وَالسُّؤالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّجُلِ فَأُخْرِجَ[3].

---

(١) حديث حسن: أخرجه النووي في الأذكار (٣٤٩) والترمذي (٣٤٨٣) وقال: حديث حسن غريب، وأحمد (٤/ ٤٤٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٩٤).

(٢) حديث ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٧٢٣) والترمذي (٣٣٢٠) وابن خزيمة (١٤٤) واللالكائي (٦٤٩) وابن أبي عاصم (٥٨٩).

(٣) الأثر صحيح: أورده البيهقي في «الاعتقاد» ص١١٩، وفي الأسماء والصفات (٨٦٧) والدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤) واللالكائي (٦٦٤).

قال العلامة ابن جبرين - حفظه الله - «قوله (الاستواء معلوم) أي: مفهوم لكل عربي، فإنه إذا عدي بعلى - كما هنا - أفاد العلو والارتفاع، كقوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ (سورة الفتح: ٢٩). وقوله ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ (سورة الزخرف: ١٣). أي تعلوها، وتستقروا فوقها، فالاستواء معلوم، يفسر، ويترجم من لغة إلى لغة.

الشرح

❖ **الصفة العاشرة ـ النزول:**

نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة وإجماع السلف. قال النبي ﷺ: **«ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له ..»**[1]. الحديث متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت النزول لله[2]. فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو نزول حقيقي يليق بالله. وفسره أهل التعطيل بنزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول: **«من يدعوني فأستجيب له ..»** إلخ.

❖ **الصفة الحادية عشرة ـ العجب:**

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (سورة الصافات: ١٢). على قراءة ضم التاء. وقال

---

(١) متفق عليه: البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

(٢) قال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٦): «ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه، ويُمِرُّون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويَكِلُون علمه إلى الله» أهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرحه لحديث النزول: «إن وصفه تعالى في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات، كوصفه بالاستواء إلى السماء وهي دخان، ووصفه بأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، ووصفه بالإتيان والمجيء. وأمثال ذلك من الأفعال التي وصف الله تعالى بها نفسه.

ومذهب السلف والأئمة إثباتها ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات، فالله تعالى موصوف بصفات الكمال التي لا نقص فيها، منزه عن صفات النقص مطلقًا، ومنزه عن أن يماثله غيره في صفات كماله» أهـ. من مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٣-٣٢٤، ٣٢٩).

النبي ﷺ: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة». رواه أحمد وهو في المسند (٤/ ١٥١) عن عقبة بن عامر مرفوعًا وفيه ابن لهيعة[١].

وأجمع السلف على ثبوت العجب لله. فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو عجب حقيقي يليق بالله. وفسره أهل التعطيل بالمجازاة نرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

❖ **والعجب نوعان:**

أحدهما ـ أن يكون صادرًا عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه، وهذا النوع مستحيل على الله لأن الله لا يخفى عليه شيء.

الثاني ـ أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب، وهذا هو الثابت لله تعالى.

❖ **الصفة الثانية عشرة ـ الضحك:**

الضحك من صفات الله الثابتة له بالسنة وإجماع السلف. قال النبي ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة**»[٢]. وتمام الحديث: «**يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**» متفق عليه.

وأجمع السلف على إثبات الضحك لله. فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو ضحك حقيقي يليق بالله تعالى. وفسره أهل التعطيل بالثواب، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

---

(١) حديث ضعيف: أخرجه أحمد (٤/ ١٥١) وابن أبي عاصم في السنة (٥٨٣) وأبو يعلى (١٤٧٩) والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٠٩) والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٤٦) والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٥١) وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٤٢٦) ويغني عنه ما أخرجه البخاري (٤٨٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «**لقد عجب الله عزَّ وجلَّ أو ضحك ـ من فلان وفلانة فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾** (سورة الحشر: ٩)».

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠).

❖ الصفة الثالثة عشر- الاستواء على العرش:

استواء الله على العرش من صفاته الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (سورة طه:٥). وذكر استواءه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن. وقال النبي ﷺ: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي»[١]. رواه البخاري. وقال النبي ﷺ فيما رواه أبو داود في سننه: «إن بعد ما بين سماء إلى سماء إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ..» إلى أن قال في العرش: «بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تعالى فوق ذلك»[٢]. وأخرجه أيضًا الترمذي وابن ماجة وفيه علة أجاب عنها ابن القيم - رحمه الله - في تهذيب سنن أبي داود (٧/ ٩٢-٩٣).

وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه[٣]. فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو استواء حقيقي معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى[٤].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣١٩٤) ومسلم (٢٧٥١).

(٢) حديث ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٧٢٣) والترمذي (٣٢٩٨) وابن ماجة (١٩٣).

(٣) قال شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك: «نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات، على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية» أهـ. (الرد على الجهمية للدارمي ص٦٧).

ونقل يوسف بن موسى القطان شيخ أبي بكر الخلال عن شيخ الإسلام حامل لواء السنة والصابر في المحنة الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - أنه قيل له: يا أبا عبد الله: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم، هو على عرشه، ولا يخلو شيء من علمه» أهـ. (العلو، للذهبي ص١٣٠، وانظر كلام الذهبي ص١٠٧).

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص٧٥): «وأجمعوا .. .أنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه» أهـ.

(٣) قال البيهقي في «الاعتقاد» ص١٢١: «وفي الجملة يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى، ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا مماسَّة لشيء من خلقه، لكنه مستو على عرشه، كما أخبر بلا كيف، بلا أين، بائن من جميع خلقه» أهـ.

وقد فسره أهل التعطيل بالاستيلاء، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، ونزيد وجهًا رابعًا: أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى، ووجهًا خامسًا: أنه يلزم عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن ملكًا لله ثم استوى عليه بعد[١].

والعرش لغة: السرير الخاص بالملك.

وفي الشرع: العرش العظيم الذي استوى عليه الرحمن ـ جل جلاله ـ وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، وصفه الله بأنه عظيم وبأنه كريم وبأنه مجيد.

والكرسي غير العرش؛ لأن العرش هو ما استوى عليه الله تعالى، والكرسي موضع قدميه لقول ابن عباس رضي الله عنهما: «**الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره**» رواه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٢].

---

(١) **قال العلامة ابن جبرين ـ حفظه الله ـ:**

«وقد فسر السلف الاستواء بأربعة تفاسير، ذكرها ابن القيم ـ رحمه الله ـ بقوله في الكافية الشافية:

ولهم عبارات عليها أربع ●●● قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر، وقد علا، وكذلك ●●● ارتفع الذي ما فيه من نكران

وكذاك قد صعد الذي هو رابع ●●● وأبو عبيدة صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره ●●● أدرى من الجهمي بالقرآن

وقد كدَّرت نصوص الاستواء وتفاسير السلف لها صفو مشارب الجهمية، حتى تمنى الجهم بن صفوان أن يحك آية الاستواء من المصاحف، وقد ذهبوا في تأويلها كل مذهب، وطعنوا في تفاسير السلف بشبه وهمية زعموها عقلية، وإنما هي خيالات باطلة، وأغلب كتب النفاة تعتمد تفسير استوى: باستولى، أو تفسير العرش: بالملك، ويستدلون ببيت شعر وهو:

قد استوى بشر على العراق ●●● من غير سيف أو دم مهراق

وهذا التفسير غير معروف عند العرب، ولم ينقله أحد من أئمة اللغة، والبيت لا يعرف في دواوين العلم الصحيحة، وفيه تصحيف، وعلى تقدير ثبوته فالاستواء فيه هو الاستقرار، أي: استقر على عرشها، واطمأن بها، ولو كان الاستواء في الآيات هو الاستيلاء لم يكن لتخصيص العرش فائدة، فإن الله تعالى مستول على جميع المخلوقات» أهـ. (التعليقات: ص٧٩-٨٠).

(٢) برقم (٢/ ٢٨٢).

❖ **الصفة الرابعة عشرة ـ العلو:**

العلو من صفات الله الثابتة له بالكتـاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (سورة البقرة:٢٥٥). وكان النبي ﷺ يقول في صـلاته في السجود: «**سبحـان ربي الأعلى**»[١]. رواه مسلم من حـديث حذيفة. وأجـمع السلف على إثبات العلو لله[٢]. فيجب إثبـاته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيـيف ولا تمثيل. وهو علو حقيقي يليق بالله.

❖ **وينقسم إلى قسمين:**

علو صفة: بمعنى أن صفاته تعالى عليا ليس فـيها نقص بوجه من الوجوه ودليله ما سبق.

وعلو ذات: بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته ودليله مع ما سبق:

قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ (سورة الملك:١٦). وقول النبي ﷺ: «**ربنا الله الذي في السمـاء تقدس اسمك ..**» الحديث. رواه أبو داود وفـيه زيادة بن محمـد، قال البخاري: منكر الحـديث. وقوله ﷺ للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السـماء، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**» رواه مسلم في قـصة معاوية بن الحكم. وقـوله ﷺ لحصين بن عبـيد الخزاعي والد عمـران بن حصين: «**اترك الستة واعبد الذي في السماء**»، هذا هو اللفظ الذي ذكـره المؤلف وذكـره في الإصابة من روايـة ابن خزيمة في قـصة إسـلامه

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٧٧٢) وأبو داود (٨٧١) والترمذي (٢٦٢).

(٢) قال ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» ص٦٣: «إن الله تعـالى وصف نفسه بالعلو في السماء ووصفه بذلك محمد خـاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع الـعلماء من الصحابة الأتقياء والأئمـة الفقهاء وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين، وجـمع الله عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزًا في طباع الخلق أجـمعين، فتـراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السمـاء بأعينهم ويرفعـون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم وينطقون ذلك بألسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في بدعته، أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته» أهـ.

بلفظ غير هذا، وفيه إقرار النبي ﷺ لحصين حين قال: ستة في الأرض وواحدًا في السماء.

وأجمع السلف على ثبوت علو الذات لله وكونه في السماء[1]. فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته في السماء وفسروا معناها أن في السماء ملكه وسلطانه ونحوه ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع: أن ملك الله وسلطانه في السماء وفي الأرض أيضًا، وبوجه خامس: وهو دلالة العقل عليه لأنه صفة كمال، وبوجه سادس: وهو دلالة الفطرة عليه لأن الخلق مفطورون على أن الله في السماء.

---

(١) **قال العلامة ابن جبرين ـ حفظه الله ـ:**

«أما قوله في هذه النصوص (في السماء)، فليس معناه أن السماء تحويه أو تحصره، تعالى وتقدس عن ذلك علوًا كبيرًا، وقد فسرت بتفسيرين:

احدهما ـ أن حرف الجر بمعنى (على) كما في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ﴾ (سورة التوبة:٢). وقوله: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (سورة النحل:٧١). وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ (سورة يوسف:١٠٩). فإن (في) بمعنى: (على)❖ فالمراد: كونه على السماء أي: فوقها.

الثاني ـ أن المراد بالسماء: العلو، أي: هو في العلو وفوق العباد. أهـ. (التعليقات: ص٨٣).

❖ وهذا وارد في اللغة ومنه قول الجعدي:

وَكوح ذِرَاعين في بِرْكَةٍ ●●● إلى جُؤْجُوءِ رَهْلِ المنكَّبِ

والشاهد في قوله: (في بركة) أي على بركة.

وانظر: معاني الحروف للرماني ص٩٦، مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٤)، معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٦) معترك الأقران للسيوطي (٣/ ١٧١) البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٣) المقتضب للمبرد (٢/ ٣١٩).

وأما الكيفية: فمجهولة للبشر، لقصور علمهم عن الإحاطة بالله وصفاته. وقوله (والإيمان به واجب) أي: يلزم التصديق به، واعتقاده حقًا، حيث ثبت بالدليل، وتواردت عليه الآيات.

وأما السؤال عن الكيفية: فبدعة، لم يؤثر عن السلف وعلماء الأمة، وإنما كانوا يقرؤون الآيات، ويقرّونها على ما هي عليه، ولا يتقعرون وراء ذلك. أهـ. (التعليقات: ص٨٦-٨٧).

❖ معنى كون الله في السماء:

المعنى الصحيح لكون الله في السماء أن الله تعـالى على السماء ففي: بمعنى على وليست للظرفـية؛ لأن السمـاء لا تحيط بالله، أو أنه في العلو فالسـماء: بمعنى العلو وليس المراد بها المبنية.

❖ تنبيـه:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أنه نقل عن بعض الكتب المتقدمة أن من علامات النبي ﷺ وأصحابه أنهم يسـجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم فـي السماء، وهذا النقل غير صحيح لأنه لا سند له، ولأن الإيمان بعلو الله والسجود له لا يختصان بهذه الأمة وما لا يختص لا يصح أن يكون علامة، ولأن التعبير بالزعم في هذا الأمر ليس بمدح لأن أكثر ما يأتي الزعم فيما يشك فيه.

❖ جواب الإمام مالك بن أنس بن مالك:

وليس أبوه أنس بن مالك الصحابي بل غيره وكـان جد مالك من كبار التابعين، وأبو جده من الصحابة. ولد مالك سنة ٩٣هـ بالمدينة ومات فيها سنة ١٧٩هـ، وهو في عصر تابعي التابعين.

سئل مـالك فقيل: يا أبا عـبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (سورة طه:٥). كيف استوى؟ فقال رحمه الله: «الاسـتواء غير مجهول» أي: معلوم المعنى وهو العلو والاستقـرار «والكيف غير معقـول» أي: كيفيـة الاستواء غير مـدركة بالعقل لأن الله تعالى أعـظم وأجل من أن تدرك العقـول كيفـية صـفاته «والإيمان به» أي: الاسـتواء «واجب» لوروده في الكـتـاب والسنة «والسـؤال عنه» أي: عن الـكيف «بدعـة» لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأصحابه. ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد خوفًا من أن يفتن الناس في عقيدتهم وتعزيرًا له بمنعه من مجالس العلم

فصل

كلام الله تعالى

١٢ ـ وَمِنْ صِفاتِ اللهِ تَعالَى أنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلامٍ قَديمٍ، يَسْمَعُهُ مِنْهُ مَنْ شاءَ مِنْ خَلْقِهِ. سَمِعَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْهُ مِنْ غَيرِ واسِطةٍ، وَسَمِعَهُ جِبْريلُ عَليهِ السَلامُ، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ مَلائكَتِهِ.

وَأَنَّهُ سُبْحانَهُ يُكَلِّمُ المُؤْمِنينَ فِي الآخِرَةِ وَيُكَلِّمُونَهُ، ويَأْذَنُ لَهُمْ فَيَزُورُونَهُ.

قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (سورة النساء: ١٦٤).

وقالَ سُبْحانَهُ: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾ (سورة الأعراف: ١٤٤).

وقالَ سُبْحانَهُ: ﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٣).

وقالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (سورة الشورى: ٥١).

وقالَ تَعالَى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ (سورة طه: ١١-١٢).

وقالَ سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ (سورة طه: ١٤).

وَقالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: إذا تَكلَّمَ اللهُ بالوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أهْلُ السَّماءِ، ورُوِيَ ذَلكَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ.

وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «يُحْشَرُ الخَلائقُ يَوْمَ القِيامَةِ حُفاةً عُراةً فَيُناديهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَما يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنا المَلِكُ، أَنا الديَّانُ» رواهُ الأئمةُ، واسْتَشْهَدَ بِهِ البُخارِيُّ.

وَفي بَعْضِ الآثارِ أنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لَيْلَةَ رَأى النَّارَ فَهالَتْهُ وَفَزِعَ مِنْها، نَاداهُ رَبُّهُ: يا مُوسَى! فأجابَ سَريعاً اسْتِئْناساً بالصَّوْتِ، فَقالَ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أَسْمَعُ صَوْتَكَ

وَلا أرَى مَكانَكَ، فأيْنَ أنْتَ؟ فَقَالَ: أنا فَوْقَكَ، وأمامَكَ، وعَنْ يَمينِكَ، وعَنْ شِمالِكَ، فَعَلِمَ أنَّ هذهِ الصِّفَةَ لا تَنْبَغي إلا للهِ تَعالَى. قالَ: فَكَذلكَ أنْتَ يَا إلَهي أفَكَلامَكَ أسْمَعُ أمْ كَلامَ رَسُولِكَ؟ قالَ: بَلْ كَلامِي يَا مُوسَى[1].

الشرح

❖ **الصفة الخامسة عشرة ـ الكلام:**

الكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (سورة النساء:١٦٤)[2]. ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ (سورة البقرة:٢٥٣). وقال النبي ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي»[3]. أخرجه ابن خزيمة وابن جرير وابن أبي حاتم.

---

(١) الأثر أورده السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٠) عن وهب بن منبه. فهو من الإسرائيليات، فلا نصدقه، ولا نكذبه إلا بدليل.

(٢) **قال العلامة ابن جبرين ـ حفظه الله ـ:**

«وعند أهل السنة أن كلام الله قديم النوع، متجدد الآحاد، ومعنى كونه قديم النوع: أن جنسه قديم، فالله تعالى متصف في الأزل بكونه متكلمًا، فإن الله بجميع صفاته ليس بحادث، ولكنه لا يزال يتجدد ويحدث له كلام إذا شاء، وصفة الكلام من الصفات الفعلية الملازمة للذات متى شاء.

وقد ذكر الله أنه كلم موسى تكليمًا، ولهذا يسمى موسى: كليم الرحمن، ولا يشك أهل السنة أن موسى عليه السلام سمع كلام الله حقيقة، لا بواسطة ملك، ولا مترجم، بل منه إليه، لأن الله قال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾ (سورة طه:١٤). ولا يصح أن يقول: هذا مخلوق، فتحقق أنه عين كلام الله الذي سمعه موسى، وقال تعالى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (سورة الأعراف:١٤٤). أي: اخترتك وخصصتك بإرسالي لك إلى فرعون، وإلى قومك من بني إسرائيل، وبتكليمي لك كلامًا مني إليك، ثم إن قوله ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ (سورة البقرة:٢٥٣). يراد به موسى» أهـ. (التعليقات: ص٨٩).

(٣) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٣٨) وابن خزيمة في التوحيد (٩٥) والآجري في الشريعة (٢٩٤) واللالكائي (٥٤٨) والبخاري (٧٤٨١).

وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله. فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو كلام حقيقي يليق بالله يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة.

والدليل على أنه بمشيئته: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (سورة الأعراف:١٤٣). فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى.

والدليل على أنه حروف: قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَىٰ ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ (سورة طه:١١-١٢). فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله. والدليل على أنه بصوت: قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (سورة مريم:٥٢). والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت.

وروى عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال: **«يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان»**، علقه البخاري بصيغة التمريض[1]. قال في الفتح وأخرجه المصنف في الأدب المفرد وأحمد وأبو يعلى في مسنديهما وذكر له طريقين آخرين.

❖ **وكلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد:**

ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا، ليس الكلام حادثًا منه بعد أن لم يكن.

ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث؛ لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء.

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا في موضعين:
أحدهما - بصيغة الجزم (١/ ١٧٣)
والآخر - بصيغة التمريض (١٣/ ٤٥٣).
ووصله في الأدب المفرد (٩٧٠) وفي خلق أفعال العباد (٨٩) وفي التاريخ الكبير (٧/ ١٦٩) وأحمد (٣/ ٤٩٥) والحاكم (٢/ ٤٣٧) وصححه ووافقه الذهبي.

❖ **المخالفون لأهل السنة في كلام الله تعالى:**

خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منهم طائفتين:

الطائفة الأولى ـ الجهمية(١):

قالوا: ليس الكلام من صفات الله وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء أو في المحل الذي يسمع منه وإضافته إلى الله إضافة خلق أو تشريف مثل: ناقة الله، وبيت الله. ونرد عليهم بما يلي:

١ ـ أنه خلاف إجماع السلف.

٢ ـ خلاف المعقول لأن الكلام صفة للمتكلم، وليس شيئًا قائمًا بنفسه منفصلاً عن المتكلم.

٣ ـ أن موسى سمع الله يقول: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ (سورة طه:١٤). ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

الطائفة الثانية ـ الأشعرية(١):

قالوا: كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته، وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله. ونرد عليهم بما يلي:

---

(١) **الجهمية**: أتباع جهم بن صفوان السمرقندي، الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان وأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، والكفر هو الجهل بالله تعالى فقط، وأنه لا فعل ولا عمل لأحد غير الله عزَّوجلَّ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على سبيل المجاز، كما يقال تحركت الشجرة ودارت الرحى، وزعم أن الله تعالى حادث، وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أوحي أو عالم أو مريد، وقال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/٣٣٨) والفرق بين الفرق (ص٢١١) والملل والنحل (١/٨٦).

(٢) ينتسب الأشاعرة إلى أبي الحسن على بن إسماعيل الأشعري البصري وكان معتزليًا فرجع عن الاعتزال، ورد على المعتزلة وبيَّن تناقضهم. ومن مذهبه: أن الواجبات كلها سمعية، وأن العقل لا يوجب شيئًا، وأن لله صفات أزلية قائمة بذاته تعالى، دلت أفعاله عليها، لا يمكن جحدها ككونه تعالى عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر .. إلخ. =

١ ـ أنه خلاف إجماع السلف.

٢ ـ أنه خلاف الأدلة لأنها تدل على أن كلام الله يسمع ولا يسمع إلا الصوت ولا يسمع المعنى القائم بالنفس.

٣ ـ أنه خلاف المعهود لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه.

❖ **تعليق على كلام المؤلف في فصل الكلام:**

قوله: **(متكلم بكلام قديم)** يعني: قديم النوع حادث الآحاد لا يصلح إلا هذا المعنى على مذهب أهل السنة والجماعة، وإن كان ظاهر كلامه أنه قديم النوع والآحاد.

قوله **(سمعه موسى من غير واسطة)** لقوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (سورة طه:١٣).

قوله **(وسمعه جبريل)** لقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ (سورة النحل:١٠٢).

قوله **(ومن أذن له من ملائكته ورسله)**: أما الملائكة فلقوله ﷺ: **«ولكن ربنا إذا قضى أمرًا سبح حملة العرش، ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا فيقولون الذين يلون حملة العرش لحملة العرش:** ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ (سورة سبأ:٢٣).

= والكلام عنده: معنى قائم بالنفس سوى العبارة، والعبارة دلالة عليه من الإنسان، فالمتكلم عنده من قام به الكلام.

والأشاعرة يتفقون على إثبات الصفات الذاتية بالعقل بدون تأويل، ويختلفون في صفات الفعل، والصفات الخبرية، كالاستواء، والنزول، والمجيء .. إلخ على فرقتين:

- فرقة تؤول جميع ذلك.
- وفرقة تفوض فيه، ولم تتعرض للتأويل، ويقال لهم الأشعرية الأسرية،

انظر: الملل والنحل (١/ ٩٤) وتبيين كذب المفترى (ص٣٤).

فيخبرونهم»[١]. لحديث رواه مسلم. وأما الرسل فقد ثبت أن الله كلم محمدًا ﷺ ليلة المعراج.

قوله: (**وإنه سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه**) لحديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ **قال: «يقول الله لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك»**[٢]. الحديث متفق عليه.

قوله (**ويأذن لهم فيزورونه**): لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم...»**[٣]. الحديث رواه ابن ماجة والترمذي وقال: غريب، وضعفه الألباني.

وقوله (**وقال ابن مسعود إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء. وروى ذلك عن النبي ﷺ**): أثر ابن مسعود لم أجده بهذا اللفظ وذكر ابن خزيمة طرقه في كتاب التوحيد بألفاظ منها: سمع أهل السموات للسموات صلصلة، وأما المروي عن النبي ﷺ فهو من حديث النواس بن سمعان مرفوعًا: **«إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة - أو قال: رعدة شديدة - من خوف الله فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا ...»** الحديث رواه ابن خزيمة وابن أبي حاتم[٤].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٢٩) والترمذي (٣٢٢٤) وأحمد (١/ ٢١٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٥٣٠) ومسلم (٢٢٢).

(٣) حديث ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٥٤٩) وابن ماجة (٤٣٣٦).

(٤) حديث صحيح: أخرجه ابن أبي عاصم (٥٢٧) والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٣) وفي خلق أفعال العباد (٤٦٣) وأحمد (٣/ ٤٩٥)

فصل

القرآن الكريم

١٣ - وَمِنْ كَلامِ اللهِ تَعَالَى: القُرْآنُ العَظِيمُ، وَهُوَ كِتَابُ اللهِ المُبِينُ، وَحَبْلُهُ المَتِينُ وَصِراطُهُ المُسْتَقِيمُ وَتَنْزِيلُ رَبِّ العالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

وَهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ، مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ. لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ، وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ، مَتْلُوٌّ بِالأَلْسِنَةِ مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالآذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ، فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ.

﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت: ٤٢).

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (سورة الإسراء: ٨٨).

وَهُوَ هذا الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي قَالَ فِيهِ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ (سورة سبأ: ٣١).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (سورة المدثر: ٢٥). فَقَالَ اللهُ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (سورة المدثر: ٢٦).

وقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ شِعْرٌ. فَقَالَ اللهُ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة يس: ٦٩).

فَلَمَّا نَفَى اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ وَأَثْبَتَهُ قُرْآنًا، لَمْ يَبْقَ شُبْهَةٌ لِذِي لُبٍّ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ هذا الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي هُوَ حُرُوفٌ، وَكَلِمَاتٌ، وَآيَاتٌ، لأن ما لَيْسَ كَذَلِكَ لا يَقُولُ أَحَدٌ إِنَّهُ شِعْرٌ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (سورة البقرة: ٢٣).

ولا يَجُوزُ أنْ يَتَحدَّاهُمْ بالإتْيَان بِمثْلِ ما لا يُدْرَى ما هُوَ ولا يُعْقَلُ. وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ (سورة يونس: ١٥).

فَأَثْبَتَ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الآيَاتُ الَّتِي تُتْلَى عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٩).

وَقَالَ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ (سورة الواقعة: ٧٧-٧٨). بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَالَ: ﴿كهيعص﴾ (سورة مريم: ١). ﴿حم ۝١ عسق﴾ (سورة الشورى: ١). وَافْتَتَحَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سُورَةً بِالحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ» [1] حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَقَالَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلا يَتَأَجَّلُونَهُ» [2].

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ـ رضي الله عنهما ـ: إِعْرَابُ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ.

---

(١) حديث ضعيف: أورده السيوطي في الحاوي (١/ ٥٦٤) والطبراني في الكبير (٦٠٢١). وضعفه الألباني في الضعيفة (١٣٤٤).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٣٣٨) وأبو داود (٨٣١) وابن حبان (١٨٧٦/ موارد) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٩).

وَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ. وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدِّ سُوَرِ الْقُرْآنِ وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهِ.

وَلا خِلافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً أَوْ كَلِمَةً أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هذا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّهُ حُرُوفٌ[1].

الشرح

❖ **القول في القرآن:**

القرآن الكريم من كلام الله تعالى منزل غير مـخلوق منه بدأ وإليه يعود فهو كلام الله: حروفه ومعانيه.

---

(١) قال شارح الطحاوية (ص١٦٨-١٦٩): وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

احدها - أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معانٍ، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.

وثانيها - أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، وهذا قول المعتزلة.

وثالثها - أنه معنى واحد قـائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاسـتخبار وإن عبـر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.

ورابعها - أنه حروف وأصوات أزليـة مجتمعة في الأزل، وهذا قـول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلمًا وهذا قول الكرامية وغيرهم.

وخامسها - أنه حروف وأصوات.

وسادسها - أن كـلامه يرجع إلى مـا يحدثه من علمـه وإرادته القـائم بذاته، وهذا يقوله صـاحب «المعتبر»، ويميل إليه الرازي في «المطالب العالية».

وسابعها - أن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وثامنها - أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بـالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن اتبعه.

وتاسعها - أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شـاء، وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت يسمع وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة. أهـ.

دليل أنه من كلام الله. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (سورة التوبة:٦). يعني: القرآن.

ودليل أنه منزل: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ (سورة الفرقان:١).

ودليل أنه غير مخلوق: قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (سورة الأعراف:٥٤). فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (سورة الشورى:٥٢). ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ (سورة الطلاق:٥). ولأن كلام الله صفة من صفاته، وصفاته غير مخلوقة.

ودليل أنه منه بدأ: أن الله أضافه إليه ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئًا

ودليل أنه إليه يعود: أنه ورد في بعض الآثار أنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان.

❖ **القرآن حروف وكلمات:**

وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ لذلك أدلة ثمانية:

١ ـ أن الكفار قالوا: إنه شعر ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات.

٢ ـ أن الله تحدى المكذبين به أن يأتوا بمثله ولو لم يكن حروفًا وكلمات لكان التحدي غير مقبول إذ لا يمكن التحدي إلا بشيء معلوم يدرى ما هو.

٣ ـ أن الله أخبر بأن القرآن يتلى عليهم ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ (سورة يونس:١٥). ولا يتلى إلا ما هو حروف وكلمات.

٤ ـ أن الله أخبر بأنه محفوظ في صدور أهل العلم ومكتوب في اللوح المحفوظ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (سورة العنكبوت:٤٩). ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ

﴿٧٧﴾ في كتابٍ مكنونٍ ﴿٧٨﴾ لا يمسُّهُ إلاَّ المطهَّرونَ﴾ (سورة الواقعة: ٧٧-٧٩). ولا يحفظ ويكتب إلا ما هو حروف وكلمات.

٥ ـ قول النبي ﷺ: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة». صححه المؤلف ولم يعزه ولم أجد من خرجه.

٦ ـ قول أبي بكر وعمر: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه.

٧ ـ قول علي ﷺ: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله.

٨ ـ إجماع المسلمين ـ كما نقله المؤلف ـ على أن من جحد منه سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه فهو كافر.

وعدد سور القرآن ١١٤ منها ٢٩ افتتحت بالحروف المقطعة.

❖ **أوصاف القرآن:**

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف عظيمة كثيرة ذكر المؤلف منها ما يلي:

١ ـ أنه كتاب الله المبين: أي المفصح عما تضمنه من أحكام وأخبار.

٢ ـ أنه حبل الله المتين أي: العهد القوي الذي جعله الله سببًا للوصول إليه والفوز بكرامته.

٣ ـ أنه سور محكمات أي: مفصل السور كل سورة منفردة عن الأخرى والمحكمات المتقنات المحفوظات من الخلل والتناقض.

٤ ـ أنه آيات بينات أي: علامات ظاهرات على توحيد الله وكمال صفاته وحسن تشريعاته.

٥ ـ أن فيه محكمًا ومتشابهًا فالمحكم ما كان معناه واضحًا والمتشابه ما كان معناه خفيًا.

ولا يعارض هذا ما سبق برقم «٣» لأن الإحكام هناك بمعنى الإتقان والحفظ من الخلل والتناقض، وهنا بمعنى وضوح المعنى، وإذا رددنا المتشابه هنا إلى المحكم صار الجميع محكمًا.

٦ ـ أنه حق لا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت:٤٢).

٧ ـ أنه بريء مما وصفه به المكذبون به من قولهم أنه شعر: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة يس:٦٩). وقول بعضهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ (سورة المدثر:٢٤). ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (سورة المدثر:٢٥). فقال الله متوعداً هذا القائل: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (سورة المدثر:٢٦).

٨ ـ أنه معجزة لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله وإن عاونه غيره: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (سورة الإسراء:٨٨).

فصل

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

١٤ ـ وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ اللهَ تَعَالَى فِي الآخِرَةِ بِأَبْصَارِهِمْ، وَيَزُورُونَهُ، وَيُكَلِّمُهُمْ وَيُكَلِّمُونَهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (سورة القيامة: ٢٢-٢٣). وَقَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (سورة المطففين: ١٥).

فَلَمَّا حُجِبَ أُولئِكَ فِي حَالِ السُّخْطِ دَلَّ عَلَى أنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ فِي حَالِ الرِّضَى وَإِلاَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذا الْقَمَرَ لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وَهذا تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لا المرئِي بِالْمَرْئِي، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لا شَبِيهَ لَهُ وَلا نَظِيرَ.

الشرح

❖ رؤية الله في الآخرة:

رؤية الله في الدنيا مستحيلة لقوله تعالى لموسى وقد طلب رؤية الله: ﴿لَن تَرَانِي﴾ (سورة الأعراف: ١٤٣).

ورؤية الله في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (سورة القيامة: ٢٢-٢٣). وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (سورة المطففين: ١٥). فلما حجب الفجار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته»[1]. متفق عليه وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي؛ لأن الله ليس كمثله شيء ولا شبيه له ولا نظير.

وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله تعالى دون الكفار بدليل الآية الثانية: يرون الله تعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى. وهي رؤية حقيقية تليق بالله[2].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣).

(٢) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في حادي الأرواح (ص٢٤١): «دلَّ القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث .. على أن الله سبحانه يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانًا كما يرى القمر ليلة البدر صحوًا، وكما ترى الشمس في الظهيرة» أهـ.

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي في عقيدته (ص٣٠-٣١): «وأجمع جمع أهل الحق واتفق أهل التوحيد والصدق أن الله يُرى في الآخرة كما جاء في كتابه وصح به النقل عن رسوله» أهـ.

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص٧٦): «وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى» أهـ. وكذا قرر عقيدة أهل الحديث في الرؤية الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في كتابه «اعتقاد أئمة أهل الحديث» ص٦٢-٦٣): «ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله عزَّ وجلَّ في القيامة دون الدنيا، ووجوبها لمن جعل الله ذلك ثوابًا له في الآخرة كما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (سورة القيامة: ٢٢-٢٣). وقال في الكفار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (سورة المطففين: ١٥).

فلو كان المؤمنون كلهم والكافرون كلهم لا يرونه كانوا جميعهم عنه محجوبين وذلك من غير اعتقاد التجسيم في الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولا التحديد له، ولكن يرونه جلَّ وعزَّ بأعينهم على ما يشاء هو بلا كيف» أهـ.

وفسرها أهل التعطيل بأن المراد بها: رؤية ثواب الله، أو أن المراد بها: رؤية العلم واليقين[١]. ونرد عليهم باعتبار التأويل الأول بما سبق في القاعدة الرابعة، وباعتبار التأويل الثاني بذلك، وبوجه رابع: أن العلم واليقين حاصل للأبرار في الدنيا وسيحصل للفجار في الآخرة.

---

(١) قال العلامة ابن جبرين ـ حفظه الله ـ:

«والمنكرون للرؤية هم الجهمية، ومن قلدهم كالمعتزلة، وبعض المرجئة، قالوا: إن إثباتها يستلزم التشبيه، وإثبات الجهة، وذلك من شأن المحدثات والمركبات، ثم تكلفوا في رد النصوص بما يشهد العقل ببطلانه، فأهل السنة يثبتون جهة العلو لله كما سبق، ولا يلزم منها الحدوث والتجدد لشيء من صفات الله تعالى، أما دلالتهم النقلية فأقواها قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (سورة الأنعام:١٠٣). يجاب عنها بأن الرؤية أخص من الإدراك، فالمعنى لا تحيط به إذا رأته لعجزها عن إدراك كنهه، فتكون الآية دليلاً على الإثبات، واستدلوا بقوله تعالى لموسى ﴿لَن تَرَانِي﴾. لما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (سورة الأعراف:١٤٣). فيقال: إنه لا يظن بموسى ـ عليه السلام ـ أن يسأل ما لا يجوز على الله، فهو لما سأل الرؤية منعه، لضعف البشر في الدنيا عن الثبوت لذلك، ولهذا لما تجلى الله تعالى للجبل اندك، وروي أنه غار في الأرض، ففي الآخرة يمد الله عباده بقوة يقدرون معها على رؤية ربهم» أهـ. (التعليقات: ص١١٢-١١٣).

فصل

القضاء والقدر

١٥ ـ ومِنْ صِفاتِ اللهِ تَعالَى أنَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ لا يَكُونُ شَيْءٌ إلاَّ بِإرادَتِه ولا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِه، ولَيْسَ في العالَمِ شيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْديرِه، ولا يَصْدُرُ إلاَّ عَنْ تَدْبِيرِه، ولا مَحيدَ لأحَدٍ عَنِ القَدَرِ المَقْدُورِ، ولا يَتَجاوَزُ مَا خُطَّ في اللَّوْحِ المَسْطُورِ، أرادَ ما العالَمُ فاعلوهُ، ولَوْ عصَمَهُمْ لَمَا خالَفُوهُ، ولَوْ شاءَ أنْ يُطيعُوهُ جَميعًا لأطاعُوهُ، خَلَقَ الخَلائِقَ وأفْعالَهُمْ، وقَدَّرَ أرْزاقَهُمْ وآجالَهُمْ، يَهْدِي مَنْ يَشاءُ بِرَحْمَتِه، ويُضِلُّ مَنْ يَشاءُ بِحِكْمَتِه.

قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٢٣).

قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (سورة القمر: ٤٩).

وقالَ تَعالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (سورة الفرقان: ٢).

وقالَ تَعالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ (سورة الحديد: ٢٢).

وقالَ تَعالَى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (سورة الأنعام: ١٢٥).

وَرَوَى ابنُ عُمَرَ أنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ما الإيمانُ. قالَ: «أنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ومَلائِكَتِه وكُتُبِه وَرُسُلِه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وبِالْقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّه» فَقالَ جِبْرِيلُ: صَدَقْتَ انْفَرَدَ مُسْلِمٌ بِإخْراجِه.

وَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «آمَنْتُ بِالقَدَرِ؛ خَيْرِه وَشَرِّه، وَحُلْوِه ومُرِّه».

وَمِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي عَلَّمَهُ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ».

وَلا نَجْعَلُ قَضَاءَ اللهِ وَقَدَرَهُ حُجَّةً لَنَا فِي تَرْكِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ وَنَعْلَمَ أَنَّ للهِ الحُجَّةَ عَلَيْنَا بِإِنْزَالِ الْكُتُبِ، وَبَعْثَةِ الرُّسُلِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (سورة النساء: ١٦٥).

وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ - سبحانه - مَا أَمَرَ وَنَهَى إِلاَّ المُسْتَطِيعَ لِلفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَجْبُرْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلا اضْطَرَّهُ إِلَى تَرْكِ طَاعَةٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (سورة البقرة: ٢٨٦).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (سورة التغابن: ١٦).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ (سورة غافر: ١٧).

فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا يُجْزَى عَلَى حَسَنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَى سَيِّئِهِ بِالْعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ.

الشرح

❖ القدر[1]:

من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (سورة هود:١٠٧). فلا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه ولا يصدر شيء إلا بتقديره

---

(١) القدر: اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر، يقال: قدرت الشيء وقدرته بالتشديد والتخفيف فهو قدر أي مقدور ومقدر، كما يقال: هدمت البناء فهو هدم أي مهدوم. وقبضت الشيء فهو قبض أي مقبوض، فالإيمان بالقدر هو الإيمان بتقدم علم الله سبحانه بما يكون من أكساب الخلق وغيرها من المخلوقات، وصدور جميعها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرها. (الاعتقاد للبيهقي: ص١٤٥).

وتدبيره، بيده ملكوت كل السموات والأرض، يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يسألون لأنهم مربوبون محكومون.

والإيمان بالقدر واجب وهو أحد أركان الإيمان الستة لقول النبي ﷺ: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»[١]. رواه مسلم وغيره. وقال النبي ﷺ: «**آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره**»[٢]. فالخير والشر باعتبار العاقبة، والحلاوة والمرارة باعتباره وقت إصابته.

وخير القدر ما كان نافعًا، وشره ما كان ضارًا أو مؤذيًا.

والخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته فإن منه ما يكون خيرًا كالطاعات والصحة والغنى، ومنه ما يكون شرًا كالمعاصي والمرض والفقر، أما بالنسبة لفعل الله فلا يقال: إنه شر لقول النبي ﷺ في دعاء القنوت الذي علمه الحسن بن علي: «**وقني شر ما قضيت**»[٣]. فأضاف الشر إلى ما قضاه لا إلى قضائه.

❖ **والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور:**

الأول ـ الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلاً بعلم سابق لقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ (سورة الحج: ٧٠).

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٨) وأبو داود (٤٦٩٥) والترمذي (٢٦١٠).

(٢) حديث ضعيف: أخرجه الهندي في كنز العمال (١/ ١٥٧١) والحاكم في معرفة علوم الحديث (٣١، ٣٢) وفيه يزيد الرقاشي، وهو متروك. (الميزان/ ٤/ ٤١٨).

(٣) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٢٥) والترمذي (٤٦٤) وأحمد (١/ ٢٠٠) وصححه الألباني في الإرواء (٤٢٩).

الثاني ـ أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء لقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ (سورة الحديد: ٢٢). أي: نخلق الخليقة ولقوله ﷺ: «إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[١]. رواه مسلم.

الثالث ـ أنه لا يكون شيء في السموات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يسألون، وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق ولما كتبه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (سورة القمر: ٤٩). ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (سورة الأنعام: ١٢٥). فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته.

الرابع ـ أن كل شيء في السموات والأرض مخلوق لله تعالى لا خالق غيره ولا رب سواه لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (سورة الفرقان: ٢). وقال على لسان إبراهيم: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة الصافات: ٩٦).

❖ القدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية[٢]:

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصٍ كلها مخلوقة لله كما سبق، ولكن ليس ذلك حجة للعاصي على فعل المعصية. وذلك لأدلة كثيرة منها:

١ ـ أن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسبًا له فقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (سورة غافر: ١٧). ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقدرة عليه ما نسب إليه.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٣) والترمذي (٢١٥٦).

(٢) للعلامة ابن جبرين ـ حفظه الله ـ رسالة في هذه المسألة، فانظرها غير مأمور.

٢ ـ أن الله أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع لقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (سورة البقرة:٢٨٦). ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (سورة التغابن:١٦). ولو كان مجبورًا على العمل ما كان مستطيعًا على الفعل أو الكف لأن المجبور لا يستطيع التخلص.

٣ ـ أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري وأن الأول يستطيع التخلص منه.

٤ ـ أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قدر له، وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول، أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول هذا ما قدر لي؟.

٥ ـ أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (سورة النساء:١٦٥). ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل.

❖ **التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقًا لله وكونه كسبًا للفاعل:**

عرفت مما سبق أن فعل العبد مخلوق لله وأنه كسب للعبد يجازى عليه الحسن بأحسن والسيء بمثله فكيف نوفق بينهما؟.

التوفيق بينهما: أن وجه كون فعل العبد مخلوقًا لله تعالى أمران:

الأول ـ أن فعل العبد من صفاته والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى.

الثاني ـ أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية، ولولاهما لم يكن فعل، والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى وخالق السبب خالق المسبب، فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مسبب إلى سبب لا نسبة مباشرة؛ لأن المباشرة حقيقة هو العبد، فلذلك نسب الفعل إليه كسبًا وتحصيلاً ونسب إلى الله خلقًا وتقديرًا، فلكل من النسبتين اعتبار والله أعلم.

❖ المخالفون للحق في القضاء والقدر والرد عليهم:

المخالفون للحق في القضاء والقدر طائفتان:

الطائفة الأولى ـ الجبرية[1]:

يقولون العبد مجبور على فعله وليس له اختيار في ذلك. ونرد عليهم بأمرين:

١ ـ أن الله أضاف عمل الإنسان إليه وجعله كسبًا له يعاقب ويثاب بحسبه، ولو كان مجبورًا عليه ما صح نسبته إليه ولكان عقابه عليه ظلمًا.

٢ ـ أن كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختياري والاضطراري في الحقيقة والحكم، فلو اعتدى شخص على آخر وادعى أنه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره لعد ذلك سفهًا مخالفًا للمعلوم بالضرورة.

الطائفة الثانية ـ القدرية[2]:

يقولون العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة ولا قدرة ولا خلق. ونرد عليهم بأمرين:

١ ـ أنه مخالف لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة الزمر: ٦٢). ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة الصافات: ٩٦).

---

(١) **الجبرية**: هم الغلاة في نفي استطاعة العبد على الفعل، وإضافته إلى الرب تعالى، وهم أصناف: الجبرية الخالصة، وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً، ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة، وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مأثرة أصلاً، ويرى البعض أن الأشاعرة من أصناف الجبرية، وقد نفى الشهرستاني ذلك بقوله: فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرًا ما في الفعل وسمى ذلك كسبًا فليس بجبري. الملل والنحل (١/ ٨٥).

(٢) **القدرية**: نفاة القدر نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه حيث قالوا: إن الأمر أُنُف. أي أن الله تعالى لم يقدر على خلقه شيئًا مما هم عليه، وقد حدثت هذه البدعة في زمن المتأخرين من الصحابة ﷺ على يد معبد بن خالد الجهني البصري، وقد أخرج مسلم في صحيحه القصة في ذلك عن يحيى بن يعمر.

٢ ـ أن الله مالك السموات والأرض. فكيف يكون في ملكه ما لا تتعلق به إرادته وخلقه؟

❖ **أقسام الإرادة والفرق بينهما**[1]:

إرادة الله تنقسم إلى قسمين كونية وشرعية:

فالكونية: هي التي بمعنى المشيئة كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (سورة الأنعام: ١٢٥).

والشرعية: هي التي بمعنى المحبة كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ (سورة النساء: ٢٧).

والفرق بينهما: أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوبًا لله، وأما الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوبًا لله ولا يلزم وقوعه.

---

(١) قال العلاّمة ابن جبرين ـ حفظه الله ـ:

«وأما الإرادة فهي في كتاب الله قسمان:

١ ـ إرادة كونية قدرية: يدخل فيها كل الموجودات، من طاعات ومعاصي.

٢ ـ إرادة دينية شرعية: تتعلق بالطاعات المأمور بها، سواء وجدت أو لم توجد.

فالأولى ـ بمعنى: المشيئة، وهي عامة لكل ما وجد، فيقال في الطاعات: إن الله أرادها وقدر وجودها، وأحبها فوجدت.

وفي المعاصي: إن الله أرادها كونًا وقدرًا وخلقها فوجدت، مع أنه نهى عنها ولم يحبها.

وأما الثانية ـ فهي بمعنى: محبة المراد، والرضى به، ولا يلزم منها وجود المراد، فإيمان المؤمنين وأعمالهم التي قد عملوها تعلقت بها الإرادتان، حيث أن الله شاءها وخلقها فوجدت، وأحبها ورضيها فمدح أهلها، وإيمان الكافر لم يوجد مع أن الله قد أحب منه الإيمان، وأمره به شرعًا، ولكنه ما أراده قدرًا، ولا خلقه فيه، ولا أعانه، فلم يتعلق به إلا الإرادة الدينية الشرعية.. أهـ. (التعليقات: ص١١٨).

فصل

الإيمــــان

١٦ ـ وَالإِيمانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ وَعَقْدٌ بِالجَنَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالعِصْيَانِ.

قالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (سورة البينة: ٥). فَجَعَلَ عِبادَةَ اللهِ تَعَالى وَإِخْلاصَ الْقَلْبِ، وَإِقامَ الصَّلاةِ، وإيتاءَ الزَّكَاةِ، كُلَّهُ مِنَ الدِّينِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلاهَا شَهَادَةُ أَنْ لا إله إلا اللهُ، وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ». فَجَعَلَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ مِنَ الإِيمانِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ (سورة آل عمران: ١٧٣). ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ (سورة الفتح: ٤). وقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمانِ». فَجَعَلَهُ مُتَفاضِلاً.

الشرح

❖ الإيمان:

الإيمان لغة: التصديق واصطلاحًا قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان.

مثال القول: لا إله إلا الله.

ومثال العمل: الركوع.

ومثال العقد: الإيمان بالله وملائكته وغير ذلك مما يجب اعتقاده.

والدليل على أن هذا هو الإيمان: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (سورة البينة: ٥). فجعل الإخلاص والصلاة والزكاة من الدين[١].

وقال النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[٢]. رواه مسلم بلفظ: «فأفضلها قول لا إله إلا الله» وأصله في

---

(١) قال العلامة ابن جبرين - حفظه الله -:

«ومعنى كون الأعمال من الإيمان أن المؤمن الموقن بكل ما جاء عن الله، يحمله يقينه على المبادرة إلى العمل، فتكون تلك الأعمال من الإيمان والدين الذي يدين به، لأن الباعث عليها ما في القلب من اليقين.

وقول اللسان: يراد به الكلام: كالشهادتين، والذكر، والدعاء، والتلاوة، وسائر الأقوال الخيرية.

والعمل بالأركان: وهي الجوارح، وهو: كالصلاة، والصوم، والحج، والجهاد، وتغيير المنكر باليد، ونحوها.

والعقد بالجنان: أي: بالقلب يراد به التصديق، والإخلاص، والتوكل، والمحبة، ونحوها، وكل هذه الأعمال من مسمى الإيمان، لأنها من آثاره. وذهب بعض المعتزلة أن الإيمان مجرد التصديق فقط. فكل من صدق الرسول عليه الصلاة والسلام، وإن لم يتبعه، كاليهود، فهو مؤمن عندهم.

وعند الجهمية الإيمان هو: المعرفة بالله فقط، فإبليس، وفرعون، والمشركون، واليهود، والنصارى، ونحوهم، مؤمنون كاملوا الإيمان عند الجهمية، لأنهم يقرون بوجود الله، ويؤمنون به ربًا وخالقًا، وإن جحده بعضهم كفرعون عنادًا.

وقالت المرجئة: الإيمان هو الإقرار باللسان، دون عقد القلب، فالمنافقون عندهم مؤمنون لأنهم مقرون بألسنتهم. وهناك أقوال أخرى ظاهرة البطلان.

ودلالة آية البينة ظاهرة، حيث ذكر العبادة، والإخلاص، والصلاة، والزكاة ثم قال: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (سورة البينة: ٥). والدين هو: الإيمان.

وهذا كقوله ﷺ في حديث جبريل المشهور: **«هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»**، فجعل أركان الإسلام الظاهرة، وأركان الإيمان، وركن الإحسان، كل ذلك من الدين. أهـ. (التعليقات: ص١٣١-١٣٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٩) ومسلم (٣٥).

الصحيحين. والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية لقوله تعالى: ﴿فزادهم إيمانًا﴾ (سورة آل عمران: ١٧٣). ﴿ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم﴾ (سورة الفتح: ٤).

وقال النبي ﷺ: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة، أو خردلة، أو ذرة من إيمان»[١]. رواه البخاري بنحوه. فجعله النبي ﷺ متفاضلاً وإذا ثبتت زيادته ثبت نقصه؛ لأن من لازم الزيادة أن يكون المزيد عليه ناقصًا عن الزائد.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٤) ومسلم (١٩٣).

فصل

السمعيات

١٧ - ويجبُ الإيمانُ بكلِّ ما أخبَرَ به النَّبيُّ ﷺ وصَحَّ به النَّقْلُ عَنْهُ فيما شَهِدْناهُ أوْ غابَ عَنَّا نَعْلَمُ أنَّهُ حَقٌ وصِدْقٌ، سَواءٌ في ذَلِكَ ما عَقَلْناهُ وجَهِلْناهُ، ولَمْ نَطَّلِعْ عَلَى حَقيقَةِ مَعْناهُ.

مِثْلُ: حَديثِ الإسْراءِ والمِعْراجِ وكانَ يَقَظَةً لا مَناماً، فإنَّ قُرَيْشاً أنْكَرَتْهُ وأكْبَرَتْهُ، ولَمْ تَكُنْ تُنْكِرُ المَنامات.

ومِنْ ذلكَ: أنَّ مَلَكَ المَوْتِ لَمَّا جاءَ إلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ليَقْبِضَ رُوحَهُ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إلى رَبِّهِ تَعالَى فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ.

١٨ - ومِنْ ذلكَ أشْراطُ السَّاعَةِ، مِثْلُ خُرُوجِ الدَّجَّالِ. ونُزُولِ عيسى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَيَقْتُلُهُ. وخُرُوجِ يأْجُوجَ ومأْجُوجَ. وخُرُوجِ الدَّابَّةِ.

وطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، وأشْباهِ ذَلكَ ممَّا صَحَّ بِهِ النَّقْلُ. وعَذابُ القَبْرِ ونَعيمُهُ حَقٌ، وقَد اسْتَعاذَ النَّبيُّ ﷺ مِنْهُ، وأَمَرَ بِهِ في كُلِّ صَلاة.

وفِتْنَةُ القَبْرِ حَقٌّ، وسُؤَالُ مُنْكَرٍ ونَكيرٍ حَقٌّ.

والبَعْثُ بَعْدَ المَوْتِ حَقٌّ وذَلِكَ حينَ يَنْفُخُ إسْرافيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ في الصُّورِ ﴿فإذا هُم مِنَ الأَجْداثِ إلى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (سورة يس: ٥١).

١٩ - ويُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً بُهْماً فَيَقِفُونَ في مَوْقِفِ القِيامَةِ، حَتَّى يَشْفَعَ فيهِمْ نَبيُّنا ﷺ.

ويَشْفَعُ نَبيُّنا ﷺ فيمَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أَهْلِ الكَبائِرِ فَيَخْرُجُونَ بِشَفاعَتِهِ بَعْدَ ما احْتَرَقُوا وصارُوا فَحْماً وحُمَماً، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِشَفاعَتِهِ.

وَلِسائِرِ الأنْبِياءِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمَلائِكَةِ شَفاعاتٌ، قالَ تَعالَى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٢٨).

وَلا تَنْفَعُ الكافِرَ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ. فَيُحاسِبُهُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَى، وَتُنْصَبُ المَوازِينُ، وَتُنْشَرُ الدَّواوِينُ، وَتَتَطايَرُ صَحائِفُ الأعْمالِ إلى الأيْمانِ وَالشَّمائِلِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ (سورة الانشقاق: ٧-١٢).

وَالمِيزانُ لَهُ كِفَّتانِ وَلِسانٌ يُوزَنُ بِهِ أعْمالُ العِبادِ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ١٠٢-١٠٣).

وَلِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ حَوْضٌ في القِيامَةِ ماؤُهُ أشَدُّ بَياضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأبارِيقُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّماءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَها أبَدًا.

وَالصِّراطُ حَقٌّ تَجُوزُهُ الأبْرارُ، وَيَزِلُّ عَنْهُ الفُجّارُ. وَالجَنَّةُ وَالنّارُ مَخْلُوقَتانِ لا تَفْنَيانِ، فَالجَنَّةُ دارُ أوْلِيائِهِ، وَالنّارُ عِقابٌ لأعْدائِهِ، وَأهْلُ الجَنَّةِ فِيها مُخَلَّدُونَ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (سورة الزخرف: ٧٤-٧٥).

وَيُؤْتَى بِالمَوْتِ في صُورَةِ كَبْشٍ أمْلَحَ، وَيُذْبَحُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنّارِ، ثُمَّ يُقالُ: «يا أهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ وَلا مَوْتَ، وَيا أهْلَ النّارِ خُلُودٌ وَلا مَوْتَ».

الشرح

❖ السمعيات:

السمعيات كل ما ثبت بالسمع أي بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل وكل ما ثبت عن النبي ﷺ من أخبار فهي حق يجب تصديقه، سواء شاهدناه بحواسنا

أو غاب عنا، وسواء أدركناه بعقولنا أو لم ندركه لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (سورة البقرة:١١٩). وقد ذكر المؤلف من ذلك أمورًا:

الأمر الأول ـ الإسراء والمعراج:

الإسراء لغة: السير بالشخص ليلاً وقيل: بمعنى سرى.

وشرعًا: سير جبريل بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ (سورة الإسراء:١).

والمعراج: لغة: الآلة التي يعرج بها وهي المصعد.

وشرعًا: السلم الذي عرج به رسول الله ﷺ من الأرض إلى السماء لقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (سورة النجم:١-٢). إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ (سورة النجم:١٨). وكانا في ليلة واحدة عند الجمهور. وللعلماء خلاف متى كانت؟[1].

فيروى بسند منقطع عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أنها ليلة الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول ولم يعينا السنة. رواه ابن أبي شيبة.

ويروى عن الزهري وعروة: أنها قبل الهجرة بسنة، رواه البيهقي فتكون في ربيع الأول ولم يعينا الليلة، وقاله ابن سعد وغيره وجزم به النووي.

ويروى عن السدي: أنها قبل الهجرة بستة عشر شهرًا، رواه الحاكم، فتكون في ذي القعدة.

وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين. وقيل: بخمس. وقيل: بست.

---

(١) انظر ـ غير مأمور ـ «الصحيح من الإسراء والمعراج» لخير الدين وانلي ـ ط ابن حزم ففيها شفاء العليل ـ إن شاء الله ـ.

وكان يقظة لا منامًا؛ لأن قريشًا أكبرته وأنكرته ولو كان منامًا لم تنكره لأنها لا تنكر المنامات. وقصته أن جبريل أمره الله أن يسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس على البراق ثم يعرج به إلى السموات العلى سماء سماء، حتى بلغ مكانًا سمع فيه صريف الأقلام وفرض الله عليه الصلوات الخمس واطلع على الجنة والنار واتصل بالأنبياء الكرام وصلى بهم إمامًا، ثم رجع إلى مكة فحدث الناس بما رأى فكذبه الكافرون وصدق به المؤمنون وتردد فيه آخرون.

❖ الأمر الثاني. مجيء ملك الموت إلى موسى ﷺ:

جاء ملك الموت بصوت إنسان إلى نبي الله موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليقبض روحه، فلطمه موسى ففقأ عينه، فرجع الملك إلى الله وقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال: ارجع إليه وقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطى يده بكل شعرة سنة، فقال موسى: ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر، قال النبي ﷺ: **«فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»**.

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين[1]. وإنما أثبته المؤلف في العقيدة لأن بعض المبتدعة أنكره؛ معللاً ذلك بأنه يمتنع أن موسى يلطم الملك، ونرد عليهم بأن الملك أتى موسى بصورة إنسان لا يعرف موسى من هو يطلب منه نفسه فمقتضى الطبيعة البشرية أن يدافع المطلوب عن نفسه، ولو علم موسى أنه ملك لم يلطمه ولذلك استسلم له في المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله وهو إعطاؤه مهلة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثور.

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٢).

❖ **الأمر الثالث ـ أشراط الساعة**[١] :

الأشراط جمع شرط، وهو لغة: العلامة.

والساعة لغة: الوقت أو الحاضر منه والمراد بها هنا: القيامة. فأشراط الساعة شرعًا العلامات الدالة على قرب يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ (سورة محمد:١٨). وذكر المؤلف من أشراط الساعة ما يأتي:

١ ـ خروج الدجال:

وهو لغة: صيغة مبالغة من الدجل وهو الكذب والتمويه.

وشرعًا: رجل مموه يخرج في آخر الزمان يدعي الربوبية. وخروجه ثابت بالسنة والإجماع.

قال النبي ﷺ: **«قولوا: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»**[٢]. رواه مسلم. وكان النبي ﷺ يتعوذ منه في الصلاة[٣]. متفق عليه. وأجمع المسلمون على خروجه[٤].

---

(١) انظر ـ غير مأمور ـ في ذلك كتابنا (علامات الساعة الكبرى والصغرى).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٥٨٨) وأحمد (٢/ ٥٢٢).

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٣٦٤) ومسلم (٥٨٩).

(٤) قال القاضي عياض: «هذه الأحاديث التي ذكر مسلم وغيره في قصة الدجال حُجَّة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى: من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تبارك وتعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، فيبطل أمره ويقتله عيسى ﷺ، ويثبِّت الله الذين آمنوا. هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافًا لمن أنكر وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة. أهـ. (شرح مسلم للنووي ١٨/٥٨-٥٩).

وقصته أنه يخرج من طريق بين الشام والعراق فيدعو الناس إلى عبادته فأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب، ويتبعه سبعون ألفًا من يهود أصفهان، فيسير في الأرض كلها كالغيث استدبرته الريح إلا مكة والمدينة فيمنع منهما ومدته أربعون يومًا يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة وباقي أيامه كالعادة. وهو أعور العين مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرؤه المؤمن فقط. وله فتنة عظيمة منها أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت معه جنة ونار فجنته نار وناره جنة. حذر منه النبي ﷺ وقال: «**من سمع به فلينأ عنه ومن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف أو بفواتح سورة الكهف**»[1].

٢ ـ نزول عيسى بن مريم:

نزول عيسى بن مريم ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ (سورة النساء:١٥٩). أي: موت عيسى وهذا حين نزوله كما فسره أبو هريرة بذلك. وقال النبي ﷺ: «**والله لينزلن عيسى بن مريم حكمًا عدلاً ..**»[2]. الحديث متفق عليه.

وقد أجمع المسلمون على نزوله. فينزل عند المغارة البيضاء في شرقي دمشق واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلب الدجال حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله ويكسر الصليب ويضع الجزية وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين، ويحج ويعتمر. كل هذا ثابت في صحيح مسلم وبعضه في الصحيحين كليهما.

وروى الإمام أحمد وأبو داود: أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون[3]. وذكر البخاري في تاريخه أنه يدفن مع النبي ﷺ، فالله أعلم.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢١٣٧) وأبو داود (٤٣٢١) والترمذي (٢٢٤٠).
(٢) متفق عليه: البخاري (٢٢٢٢) ومسلم (١٥٥).
(٣) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٢٤) وأحمد (٢/٤٠٦).

٣ - يأجوج ومأجوج:

اسمان أعجميان أو عربيان مشتقان من المأج وهو الاضطراب أو من أجيج النار وتلهبها.

وهما أمتان من بني آدم موجودتان بدليل الكتاب والسنة. قال الله تعالى في قصة ذي القرنين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (سورة الكهف: ٩٣-٩٤). الآيات.

قال النبي ﷺ: «يقول الله يوم القيامة: يا آدم قم فابعث بعث النار من ذريتك» إلى أن قال رسول الله ﷺ: «أبشروا فإن منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً»[1]. أخرجاه في الصحيحين. وخروجهم الذي يكون من أشراط الساعة لم يأت بعد، ولكن بوادره وجدت في عهد النبي ﷺ.

فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها»[2]. وقد ثبت خروجهم في الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٦-٩٧).

وقال النبي ﷺ: «إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[3]. رواه مسلم.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٧٤١) ومسلم (٢٢٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٢٩٣) ومسلم (٢٨٨٠).

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٠١) وأبو داود (٤٣١١).

وقصتهم في حديث النواس بن سمعان أن النبي ﷺ قال في عيسى بن مريم بعد قتله الدجال: «فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى اني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم ويقول: لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهوجبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا، ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله»[1]. رواه مسلم.

٤ - خروج الدابة:

الدابة لغة: كل ما دب على الأرض. والمراد بها هنا: الدابة التي يخرجها الله قرب قيام الساعة. وخروجها ثابت بالقرآن والسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾ (سورة النمل: ٨٢).

وقال النبي ﷺ: «إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات ..»[2]. وذكر منها الدابة. رواه مسلم.

وليس في القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها وإنما وردت في ذلك أحاديث في صحتها نظر. وظاهر القرآن: أنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك والله أعلم.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) سبق تخريجه برقم (١٠٢).

٥ـ طلوع الشمس من مغربها:

طلوع الشمس من مغربها ثابت بالكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ (سورة الأنعام:١٥٨). والمراد بذلك طلوع الشمس من مغربها.

وقال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا»[١]. متفق عليه.

❖ عذاب القبر أو نعيمه:

عذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظاهر القرآن وصريح السنة وإجماع أهل السنة.

قال الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ (سورة الواقعة:٨٣-٨٤). إلى قوله: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ (سورة الواقعة:٨٨-٨٩). إلخ السورة. وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من عذاب القبر، وأمر أمته بذلك.

وقال النبي ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر قال في المؤمن: «فينادي مناد من السماء: ان صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره». وقال في الكافر: «فينادي مناد من السماء: ان كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له بابًا من النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه»[٢]. الحديث رواه أحمد وأبو داود.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٦٣٥) ومسلم (١٥٧).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٣٢١٢) وأحمد (٤/٢٨٧).

وقد اتفق السلف وأهل السنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه ذكره ابن القيم في كتاب (الروح)[1]. وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القبر لوجدناه كما هو. نرد عليهم بأمرين:

١ ـ دلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف على ذلك.

٢ ـ أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا، فليس العذاب أو النعيم في القبر كالمحسوس في الدنيا.

❖ هل عذاب القبر أو نعيمه على الروح أم على البدن؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: مذهب سلف الأمة وأئمتها: أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم أو العذاب[2].

❖ فتنة القبر:

الفتنة لغة: الاختبار، وفتنة القبر: سؤال الميت عن ربه ودينه ونبيه. وهي ثابتة بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (سورة إبراهيم: ٢٧).

---

(١) قال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في كتابه: «اعتقاد أئمة أهل الحديث ص٦٩»: «ويقولون ـ أي أهل السنة ـ إن عذاب القبر حق يُعذِّب الله من استحقه إن شاء وإن شاء عفا عنه لقوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (سورة غافر: ٤٦). فأثبت لهم ما بقيت الدنيا عذابًا بالغدو والعشي دون ما بينهما، حتى إذا قامت القيامة عُذبوا أشدَّ العذاب بلا تخفيف عنهم كما كان في الدنيا» أهـ.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ـ رحمه الله ـ في الآية (٢٧) من سورة إبراهيم.

وقال النبي ﷺ: «المسلم إذا سئل في القبر، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله». فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (سورة إبراهيم: ٢٧)[١]. متفق عليه.

والسائل ملكان لقول النبي ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، قال: يأتيه ملكان فيقعدانه»[٢]. رواه مسلم. واسمهما: منكر ونكير كما رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعًا[٣]. وقال: حسن غريب.. قال الألباني: وسنده حسن وهو على شرط مسلم.

والسؤال عام للمكلفين من المؤمنين والكافرين ومن هذه الأمة وغيرهم على القول الصحيح وفي غير المكلفين خلاف.

وظاهر كلام ابن القيم في كتاب (الروح) ترجيح السؤال. ويستثنى من ذلك الشهيد لحديث رواه النسائي[٤]. ومن مات مرابطًا في سبيل الله لحديث رواه مسلم[٥].

❖ **النفخ في الصور:**

النفخ معروف. والصور لغة: القرن. وشرعًا قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه. وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش.

❖ **وهما نفختان:**

إحداهما - نفخة الفزع، ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله.

والثانية - نفخة البعث، ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٣٦٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٣٣٨) ومسلم (٢٨٧٠).

(٣) حديث حسن: أخرجه الترمذي (١٠٧١).

(٤) حديث صحيح: أخرجه النسائي (٤/٩٩).

(٥) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٩١٣).

وقد دل على النفخ في الصور الكتاب والسنة وإجماع الأمة. قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (سورة الزمر: ٦٨). ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (سورة يس: ٥١).

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا ثم لا يبقى أحد إلا صعق ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل (شك الراوي) فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»[1]. رواه مسلم في حديث طويل. وقد اتفقت الأمة على ثبوته.

❖ **البعث والحشر:**

البعث لغة: الإرسال والنشر، وشرعًا: إحياء الأموات يوم القيامة.

والحشر لغة: الجمع، وشرعًا: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم.

والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين. قال الله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ (سورة التغابن: ٧). وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (سورة الواقعة: ٤٩-٥٠).

وقال النبي ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد»[2]. متفق عليه. وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة. ويحشر الناس حفاة لا نعال عليهم، عراة لا كسوة عليهم، غرلاً لا ختان فيهم لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٤).

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٥٢١) ومسلم (٢٧٩٠).

وقول النبي ﷺ: «إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٤)، وأول من يكسى ابراهيم»[١]. متفق عليه. وفي حديث عبد الله بن أنيس المرفوع الذي رواه أحمد: «يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً بهماً»، قلنا: وما بهمًا؟ قال: «ليس معهم شيء ..»[٢]. الحديث.

❖ **الشفاعة:**

الشفاعة لغة: جعل الوتر شفعًا.

واصطلاحًا: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. والشفاعة يوم القيامة نوعان: خاصة بالنبي ﷺ وعامة له ولغيره.

فالخاصة به ﷺ: شفاعته العظمى في أهل الموقف عند الله ليقضي بينهم حين يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون، فيذهبون إلى آدم فنوح فإبراهيم فموسى فعيسى وكلهم يعتذرون، فيأتون إلى النبي ﷺ فيشفع فيهم إلى الله، فيأتي سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده.

وقد ذكرت هذه الصفة في حديث الصور المشهور، لكن سنده ضعيف متكلم فيه، وحذفت من الأحاديث الصحيحة فاقتصر منها على ذكر الشفاعة في أهل الكبائر.

قال ابن كثير وشارح الطحاوية: وكان مقصود السلف من الاقتصار على الشفاعة في أهل الكبائر هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة.

وهذه الشفاعة لا ينكرها المعتزلة والخوارج، ويشترط فيها إذن الله لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٥).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٥٢٤) ومسلم (٢٨٦٠).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٣/٤٩٥).

النوع الثاني - العامة: وهي الشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أهل الكبائر أن يخرجوا منها بعد ما احترقوا وصاروا فحمًا وحممًا. لحديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة..**»[1]. الحديث رواه أحمد.

قال ابن كثير في النهاية (٢/ ٢٠٤): وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه. وهذه الشفاعة تكون للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين لحديث أبي سعيد عن النبي ﷺ وفيه: «**فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط عادوا حممًا**»[2]. متفق عليه.

وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة والخوارج بناء على مذهبهم: أن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلا تنفعه الشفاعة. ونرد عليهم بما يأتي:

١ - أن ذلك مخالف للمتواتر من الأحاديث عن النبي ﷺ.

٢ - أنه مخالف لإجماع السلف.

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان:

الأول - إذن الله في الشفاعة لقوله تعالى: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾ (سورة البقرة: ٢٥٥).

الثاني - رضا الله عن الشافع والمشفوع له لقوله تعالى: ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ (سورة الأنبياء: ٢٨). فأما الكافر فلا شفاعة له لقوله تعالى: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾ (سورة المدثر: ٤٨). أي: لو فرض أن أحدًا شفع لهم لم تنفعهم الشفاعة.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٥).

(٢) متفق عليه: البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

وأما شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب حتى كان في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما دماغه وإنه لأهون أهل النار عذابًا.

قال النبي ﷺ: «ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[1]. رواه مسلم. فهذا خاص بالنبي ﷺ وبعمه أبي طالب فقط وذلك والله أعلم لما قام به من نصرة النبي ﷺ والدفاع عنه، وعما جاء به.

❖ الحساب:

الحساب لغة: العدد.

وشرعًا: إطلاع الله عباده على أعمالهم. وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (سورة الغاشية: ٢٥-٢٦).

وكان النبي ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا» فقالت عائشة ﵂: ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه»[2]. رواه أحمد. وقال الألباني: إسناده جيد.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة. وصفة الحساب للمؤمن: «أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته».

«وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»[3]. متفق عليه من حديث ابن عمر.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢١٢).
(٢) حديث حسن: أخرجه أحمد (٦/٤٨) والحاكم (١/٥٧).
(٣) متفق عليه: البخاري (٤٦٨٥) ومسلم (٢٧٦٨).

والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي ﷺ وهم سبعون ألفًا من هذه الأمة منهم عكاشة بن محصن «يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب»[١]. متفق عليه.

وروى أحمد من حديث ثوبان مرفوعًا: «أن مع كل واحد سبعين ألفًا»[٢]. قال ابن كثير: حديث صحيح وذكر له شواهد. وأول من يُحَاسَبُ هذه الأمة لقول النبي ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق»[٣]. متفق عليه، وروى ابن ماجة عن ابن عباس مرفوعًا: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب»[٤]. الحديث.

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة لقول النبي ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله»[٥]. رواه الطبراني في الأوسط، وسنده لا بأس به إن شاء الله، قاله المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٤٦).

وأول ما يقضى بين الناس في الدماء لقول النبي ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»[٦]. متفق عليه.

❖ الموازين:

الموازين: جمع ميزان، وهو لغة: ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً.

وشرعًا: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد. وقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٥٤١) ومسلم (٢٢٠).
(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٠).
(٣) متفق عليه: البخاري (٢٣٨) ومسلم (٨٥٥).
(٤) حديث صحيح: أخرجه ابن ماجة (٤٢٩٠).
(٥) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٨٦٤) والنسائي (١/ ٢٣٤) وأحمد (٢/ ٢٩٠).
(٦) متفق عليه: البخاري (٦٨٦٤) ومسلم (١٦٧٨).

قال الله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ١٠٢-١٠٣). ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٤٧).

وقال النبي ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[١]. متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت ذلك. وهو ميزان حقيقي له كفتان لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ في صاحب البطاقة قال: «فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ..»[٢]. الحديث رواه الترمذي وابن ماجة، قال الألباني: إسناده صحيح. واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أم متعدد؟

فقال بعضهم: متعدد بحسب الأمم أو الأفراد أو الأعمال لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعًا، وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.

وقال بعضهم: هو ميزان واحد لأنه ورد في الحديث مفردًا، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون. وكلا الأمرين محتمل والله أعلم.

والذي يوزن: العمل: لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها.

وقيل: صحائف العمل لحديث صاحب البطاقة.

وقيل: العامل نفسه لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: «اقرأوا: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (سورة الكهف: ١٠٥)»[٣].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجة (٤٣٠٠).

(٣) متفق عليه: البخاري (٤٧٢٩) ومسلم (٢٧٨٥).

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن أو أن الوزن حقيقة للصحائف، وحيث أنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال، وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته. وهذا جمع حسن والله أعلم.

❖ نشر الدواوين:

النشر لغة: فتح الكتاب أو بث الشيء، وشرعًا: إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها.

والدواوين: جمع ديوان، وهو لغة: الكتاب يحصى فيه الجند ونحوهم. وشرعًا: الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل. فنشر الدواوين إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة فتتطاير إلى الأيمان والشمائل. وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ (سورة الانشقاق: ٧-١٢). ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ (سورة الحاقة: ٢٥).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ: هل تذكرون أهليكم؟ قال: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجوز»[1]. رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرطهما. وأجمع المسلمون على ثبوت ذلك.

---

(١) حديث ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٧٥٥) والحاكم (٤/٥٧٨).

❖ صفة أخذ الكتاب:

المؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر ويقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ (سورة الحاقة: ١٩). والكافر يأخذه بشماله أو من وراء ظهره فيدعو بالويل والثبور ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ (سورة الحاقة: ٢٥-٢٦).

❖ الحوض:

الحوض لغة: الجمع: يقال حاض الماء يحوضه إذا جمعه، ويطلق على مجتمع الماء.

وشرعًا: حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ. ودل عليه السنة المتواترة وأجمع عليه أهل السنة. قال النبي ﷺ: «إني فرطكم على الحوض»[١]. متفق عليه. وأجمع السلف أهل السنة على ثبوته. وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض ونرد عليهم بأمرين:

١ - الأحاديث المتواترة عن الرسول ﷺ.

٢ - إجماع أهل السنة على ذلك.

❖ صفة الحوض:

طوله شهر وعرضه شهر، وزواياه سواء، وآنيته كنجوم السماء وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من ريح المسك، فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والثاني من فضة، يرده المؤمنون من أمة محمد، ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا. وكل هذا ثابت في الصحيحين أو أحدهما[٢]. وهو موجود الآن لقوله ﷺ: «وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن» رواه البخاري.

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٤٤) ومسلم (٢٢٩٦).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٥٧٥) ومسلم (٢٢٨٩).

واستمداده من الكوثر لقوله ﷺ: «وأعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوض»[١]. رواه أحمد. قال ابن كثير: وهو حسن الإسناد والمتن. ولكل نبي حوض ولكن حوض النبي ﷺ أكبرها وأعظمها وأكثرها واردة لقول النبي ﷺ: «إن لكل نبي حوضًا، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة»[٢]. رواه الترمذي وقال: غريب، وروى ذلك ابن أبي الدنيا وابن ماجة من حديث أبي سعيد، وفيه ضعف لكن صححه بعضهم من أجل تعدد الطرق.

❖ الصراط:

الصراط لغة: الطريق، وشرعًا: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة. وهو ثابت بالكتاب والسنة وقول السلف. قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (سورة مريم: ٧١). فسرها عبد الله بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم: بالمرور على الصراط، وفسرها جماعة منهم ابن عباس: بالدخول في النار لكن ينجون منها.

وقال النبي ﷺ: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم»[٣]. متفق عليه. واتفق أهل السنة على إثباته.

❖ صفة الصراط:

سئل النبي ﷺ عن الصراط فقال: «مدحضة مزلة عليها خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة، لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان» رواه البخاري، وله من حديث أبي هريرة: «وبه كلاليب مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله يخطف الناس بأعمالهم»[٤].

---

(١) حديث حسن: أخرجه أحمد (٥/٣٩٣).
(٢) حديث حسن: أخرجه الترمذي (٢٤٤٣) وابن ماجة (٤٣٠١).
(٣) متفق عليه: البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).
(٤) سبق تخريجه قريبًا.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: بلغني أنه أدق من الشعر وأحد من السيف[1]. وروى الإمام أحمد نحوه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

❖ **العبور على الصراط المستقيم:**

لا يعبر الصراط إلا المؤمنون على قدر أعمالهم لحديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم»[2]. متفق عليه. وفي صحيح مسلم: «تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: يا رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا»[3]. وفي صحيح البخاري: «حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا»[4].

وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ومن الأمم أمته لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم»[5]. رواه البخاري.

❖ **الجنة والنار:**

الجنة لغة: البستان الكثير الأشجار، وشرعًا: الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين.

والنار لغة: معروفة، وشرعًا: الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين.

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٩٥).

(٤) سبق تخريجه قريبًا.

(٥) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٣٧).

وهما مخلوقتان الآن لقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٣). وفي النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة: ٢٤). والإعداد: التهيئة. ولقوله ﷺ حين صلى صلاة الكسوف: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط أفظع منها»[1]. متفق عليه.

والجنة والنار لا تفنيان لقوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (سورة البينة: ٨). والآيات في تأبيد الخلود في الجنة كثيرة.

وأما في النار فذكر في ثلاثة مواضع في النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (سورة النساء: ١٦٨-١٦٩). وفي الأحزاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (سورة ٦٤-٦٥). وفي الجن: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (سورة الجن: ٣٣).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (سورة الزخرف: ٧٤-٧٥)[2].

❖ **مكان الجنة والنار:**

الجنة في أعلى عليين لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (سورة المطففين: ١٨).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥١٩٧) ومسلم (٩٠٧).

(٢) قال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابوني في كتابه «عقيدة السلف أصحاب الحديث» ص٦٦: «ويشهدون - أهل السنة - ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما باقيتان لا تفنيان أبدًا، ويؤمر بالموت فيذبح على سور بين الجنة والنار، وينادي مناد يومئذ: «يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت» على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ» أهـ.

وانظر: كتاب «الحجة» للحافظ الأصبهاني التيمي (١/ ٤٧١)، وشرح الطحاوية (ص٤٧٦) وأصول الدين للبغدادي (ص٢٣٧).

وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر: «فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض»[١].

والنار في أسفل سافلين لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (سورة المطففين: ٧). وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب السابق: «فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى».

❖ أهل الجنة وأهل النار:

أهل الجنة كل مؤمن تقي لأنهم أولياء الله، قال الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٣). ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (سورة الحديد: ٢١). وأهل النار كل كافر شقي، قال الله تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة: ٢٤). ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾ (سورة هود: ١٠٦).

❖ ذبح الموت:

الموت: زوال الحياة، وكل نفس ذائقة الموت. وهو أمر معنوي غير محسوس بالرؤية ولكن الله تعالى يجعله شيئًا مرئيًا مجسمًا ويذبح بين الجنة والنار لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة مريم: ٣٩)»[٢]. أخرجه البخاري في تفسير هذه الآية، وروى نحوه في صفة الجنة والنار من حديث ابن عمر مرفوعًا[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٣٠).

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٥٤٨) ومسلم (٢٨٥٠).

فصل

مسائل عقيدية متفرقة

٢١ ـ وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ خاتَمُ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ المُرْسَلِينَ، لا يَصحُّ إيمانُ عَبْدٍ حَتَّى يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِهِ، وَلا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ في يَوْمِ القِيامَةِ إلاَّ بِشفاعَتِهِ، وَلا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أُمَّةٌ إلا بَعْدَ دُخُولِ أُمَّتِهِ. صاحِبُ لِواءِ الحَمْدِ وَالمقامِ المَحْمُودِ وَالحَوْضِ المَوْرُودِ، وَهُوَ إمامُ النَّبِيِّينَ، وَخَطِيبُهُمْ، وَصاحِبُ شَفاعَتِهِم.

٢٢ ـ أُمَّتُهُ خَيْرُ الأُمَمِ، وَأَصْحابُهُ خَيْرُ أَصْحابِ الأَنْبِياءِ عَلَيهِمُ السَّلامُ.

وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ أبُو بكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الفارُوقُ، ثُمَّ عُثْمانُ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَليٌّ المُرْتَضَى رضي الله عنهم.

لما رَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما قالَ: كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ: أبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمانُ، فَيَبْلُغُ ذلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فلا يُنْكِرُهُ.

وَصَحَّتِ الرِّوَايةُ عَنْ عَليٍّ رضي الله عنه أنَّهُ قالَ: «خَيْرُ هذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّها: أبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ سَمَّيْتُ الثَّالِثَ»[١].

وَرَوَى أبُو الدَّرْداءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ عَلَى أفْضَلَ مِنْ أبي بَكْرٍ»[٢].

وَهُوَ أحَقُّ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى بِالخِلافَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ لِفَضْلِهِ وسابِقَتِهِ وَتَقْديمِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ في الصَّلاةِ عَلَى جَمِيعِ الصَّحابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَإجْماعِ الصَّحابةِ ـ رضي الله عنهم ـ عَلَى تَقْديمِهِ وَمُبايَعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلالَةٍ.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه ابن أبي عاصم (١٢٣٥) وأحمد (١/١٠٦).

(٢) حديث ضعيف: أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/٣٠١) وقال الهيثمي في المجمع (٧/٤٣): «في إسناده إسماعيل بن يحيى التيمي» أهـ.

ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ ﷺ، لِفَضْلِهِ وَعَهْدِ أبي بَكْرٍ إِلَيْهِ. ثُمَّ عُثْمانُ ﷺ، لِتَقْديمِ أَهْلِ الشُّورَى لَهُ. ثُمَّ عَلِيٌّ ﷺ، لِفَضْلِهِ، وَإِجْماعِ أَهْلِ عَصْرِهِ عَلَيْهِ.

وَهَؤُلاءِ الخُلَفاءُ الرَّاشِدُونَ والأَئِمَّةُ المَهْدِيُّونَ الَّذِينَ قالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْها بِالنَّواجِذِ»[1].

وقالَ ﷺ: «الخِلافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً»[2] فَكانَ آخِرُها خِلافَةَ عَلِيٍّ ﷺ.

٢٣ ـ وَنَشْهَدُ لِلْعَشَرَةِ بِالجَنَّةِ، كَما شَهِدَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقالَ: «أَبُو بَكْرٍ في الجَنَّةِ، وَعُمَرُ في الجَنَّةِ، وَعُثْمانُ في الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ في الجَنَّةِ، وطَلْحَةُ في الجَنَّةِ، والزُّبَيْرُ في الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ في الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ في الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ في الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ في الجَنَّةِ»[3].

وَكُلُّ مَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ شَهِدْنَا لَهُ بِها، كَقَوْلِهِ: «الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ». وَقَوْلِهِ لِثابِتِ بْنِ قَيْسٍ: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

٢٤ ـ وَلا نَجْزِمُ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلا نارٍ إِلا مَنْ جَزَمَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ، لَكِنَّا نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنَخافُ عَلَى المُسِيءِ.

وَلا نُكَفِّرُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلا نُخْرِجُهُ عَنِ الإِسْلامِ بِعَمَلٍ. وَنَرى الحَجَّ وَالجِهادَ ماضِيانِ مَعَ كُلِّ إِمامٍ، بَرّاً كانَ أَوْ فاجِراً، وَصَلاةُ الجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جائِزَةٌ.

قَالَ أَنسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلاثٌ مِنْ أَصْلِ الإِيمانِ: الكَفُّ عَمَّنْ قالَ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَلا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ وَلا نُخْرِجُهُ مِنَ الإِسْلامِ بِعَمَلٍ. وَالجِهادُ ماضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللهُ

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٤).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٤٦) والترمذي (٢٢٢٦) وأحمد (٥/ ٢٢١).

(٣) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٤٩) والترمذي (٣٧٤٨) وابن ماجة (١٣٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠١٠).

عَزَّ وَجَلَّ حَتى يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتي الدَّجَّالَ لا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلا عَدْلُ عَادِلٍ، والإيمانُ بالأقْدارِ»[1] رواه أبُو داوُدَ.

٢٥ - وَمِنَ السُّنَّة تَوَلي أصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ وَمَحَبَّتُهُمْ، وَذِكْرُ مَحَاسِنِهِمْ، وَالتَّرَحُّمُ عَلَيْهِمْ، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمْ، وَالْكَفُّ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِئِهِمْ، وَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَاعْتِقَادُ فَضْلِهِمْ، وَمَعْرِفَةُ سابِقَتِهِمْ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (سورة الحشر: ١٠).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الفتح: ٢٩). وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَسُبُّوا (أحَداً مِنْ) أصْحابي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ».

٢٦ - وَمِنَ السُّنَّة التَّرَضِّي عَنْ أزْوَاجِ رَسُولِ الله ﷺ، أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ المُطَهَّرَاتِ، المُبَرَّآتِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، أفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَعَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ الَّتي بَرَّأَهَا اللهُ في كِتَابِهِ، زَوْجُ النَّبيِّ ﷺ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَمَنْ قَذَفَهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللهُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِالله الْعَظِيمِ.

وَمُعَاوِيَةُ خَالُ المُؤْمِنِينَ وَكَاتِبُ وَحْيِ الله، أحَدُ خُلَفَاءِ المُسْلِمِينَ، رَضِيَ الله عَنْهُمْ.

٢٧ - وَمِنَ السُّنَّة السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لأئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَأُمَرَاءِ المُؤْمِنِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، ما لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةِ الله، فَإنَّهُ لا طَاعَةَ لأحَدٍ في مَعْصِيَةِ الله.

وَمَنْ وَلِيَ الخِلافَةَ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَرَضُوا بِهِ، أوْ غَلَبَهُمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً، وَسُمِّيَ أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، وَجَبَتْ طَاعَتُهُ، وَحَرُمَتْ مُخَالَفَتُهُ، وَالخُرُوجُ عَلَيْهِ، وَشَقُّ عَصَا المُسْلِمِينَ.

---

(١) حديث ضعيف: أخرجه أبو داود (٢٥٣٢).

٢٨ ـ وَمِنَ السُّنَّةِ هِجْرَانُ أهْلِ الْبِدَعِ وَمُبَايَنَتُهُمْ وَتَرْكُ الْجِدالِ وَالخُصوماتِ في الدِّينِ، وَتَرْكُ النَّظَرِ في كُتُبِ الْمُبْتَدِعَةِ، والإصْغاءِ إلى كَلامِهِمْ.

وَكلُ مُحْدَثَةٍ في الدِّينِ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ مُتَسَمٍ بِغَيْرِ الإسْلامِ وَالسُّنَّةِ مُبْتَدِعٌ، كَالرَّافِضَةِ، وَالجَهْمِيَّةِ، وَالخَوارِجِ، وَالقَدَرِيَّةِ، وَالمُرْجِئَةِ، وَالمُعْتَزِلَةِ، وَالكَرَّامِيَّةِ، وَالسَّالِمَةِ، وَالكَلامِيَّةِ، وَنُظَرائِهِمْ، فَهذِهِ فِرَقُ الضَّلالِ، وَطَوائِفُ الْبِدَعِ، أعاذَنا اللهُ مِنْها.

٢٩ ـ وأمَّا النِّسْبَةُ إلى إمامٍ في فُرُوعِ الدِّينِ كالطَّوائِفِ الأرْبَعِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ، فَإنَّ الاخْتِلافَ في الفُرُوعِ رَحْمَةٌ، وَالمُخْتَلِفُونَ فيهِ مَحْمُودُونَ في اخْتِلافِهِمْ، مُثابُونَ عَلَى اجْتِهادِهِمْ، وَاخْتِلافُهُمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَاتِّفاقُهُمْ حُجَّةٌ قاطِعَةٌ.

نَسْألُ اللهَ أنْ يَعْصِمَنَا مِنَ الْبِدَعِ وَالْفِتْنَةِ، وَيُحْيِينا عَلَى الإسْلامِ وَالسُّنَّةِ، وَيَجْعَلَنا مِمَّنْ يَتَّبِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في الحَياةِ، وَيَحْشُرَنا في زُمْرَتِهِ بَعْدَ المَماتِ، بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ آمينَ. وَهذا آخِرُ المُعْتَقَدِ.

وَالحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْليماً.

فرغ من تعليقها الفقير عمر بن غازي بن علي المقدسي الحنبلي، عفا الله عنه، وعن والديه، وعن جميع المسلمين في ليلة السابع من شهر رجب الفرد سنة خمس وسبعين وسبعمائة أحسن الله تقضيها بمدينة دمشق.

الشرح

أفضل الخلق عند الله الرسل ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون. وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (سورة النساء: ٦٩).

وأفضل الرسل أولو العزم منهم وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم الصلوات من الله والتسليم ـ. وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه

في الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (سورة الأحزاب: ٧). وفي الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ (سورة الشورى: ١٣).

وأفضلهم محمد ﷺ لقوله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[1]. متفق عليه. وصلاتهم خلفه ليلة المعراج وغير ذلك من الأدلة.

ثم إبراهيم لأنه أبو الأنبياء وملته أصل الملل. ثم موسى لأنه أفضل أنبياء بني إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم، ثم نوح، وعيسى، لا يجزم بالمفاضلة بينهما لأن لكل منهما مزية.

❖ **خصائص النبي ﷺ:**

اختص النبي ﷺ بخصائص نتكلم على ذكر المؤلف منها:

١ - خاتم النبيين لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (سورة الأحزاب: ٤٠).

٢ - سيد المرسلين وسبق دليله.

٣ - لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة النساء: ٦٥). وغيره من الأنبياء يبعثون إلى أقوام معينين كلٌّ إلى قومه.

٤ - لا يقضى بين الناس إلا بشفاعته وسبق دليل ذلك في الشفاعة.

٥ - سبق أمته الأمم في دخول الجنة لعموم قوله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة». وسبق.

٦ - صاحب لواء الحمد يحمله ﷺ يوم القيامة ويكون الحامدون تحته لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤).

لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»[١]. رواه الترمذي وقد روى الأولى والأخيرة مسلم.

٧ ـ صاحب المقام المحمود أي العمل الذي يحمده عليه الخالق والمخلوق لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (سورة الإسراء: ٧٩). وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه ﷺ يوم القيامة من الشفاعة وغيرها.

٨ ـ صاحب الحوض المورود، والمراد: الحوض الكبير الكثير واردوه أما مجرد الحياض فقد مر أن لكل نبي حوضًا.

٩ : ١١ ـ إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم، لحديث أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»[٢]. رواه الترمذي وحسنه.

١٢ ـ أمته خير الأمم لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠). فأما قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (سورة البقرة: ٤٧). فالمراد: عالمي زمانهم.

❖ **فضائل الصحابة:**

الصحابي: من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك. وأصحاب النبي ﷺ أفضل أصحاب الأنبياء لقول النبي ﷺ: «خير الناس قرني»[٣]. الحديث رواه البخاري وغيره.

وأفضل الصحابة: المهاجرون لجمعهم بين الهجرة والنصرة ثم الأنصار.

وأفضل المهاجرين: الخلفاء الأربعة الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٧٨) وأحمد (١/ ٢٨١).

(٢) حديث حسن: أخرجه الترمذي (٣٦١٣) وابن ماجة (٤٣١٤) وأحمد (٥/ ١٣٧).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٦٥٠) ومسلم (٢٥٣٣).

فأبو بكر:[1] هو الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر من بني تيم بن مرة بن كعب، أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وصاحبه في الهجرة ونائبه في الصلاة والحج، وخليفته في أمته أسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة: عثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص توفي في جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ عن ٦٣ سنة.

وهؤلاء الخمسة مع أبي بكر وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة هم الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام. قاله ابن إسحاق. يعني: من الذكور بعد الرسالة.

وعمر:[2] هو أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب من بني عدي بن كعب بن لؤي، أسلم في السنة السادسة من البعثة بعد نحو أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، ففرح المسلمون به وظهر الإسلام بمكة بعده. استخلفه أبو بكر على الأمة فقام بأعباء الخلافة خير قيام إلى أن قتل شهيدًا في ذي الحجة سنة ٢٣هـ عن ٦٣ سنة.

---

(١) وصفته عائشة ﵂ فقالت: «كان أبيض نحيفًا، خفيف العارضين، أجنأ، لا يستمسك إزاره، يسترخي عن حقويه، مقرون الحاجب، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع، معروق الوجه، وكان يخضب بالحناء والكتم. رحمة الله عليه» (تاريخ دمشق ٣٠/٢٨).

والأجنأ: الذي في كاهله انحناء على صدره، وليس بالأحدب.

والأشاجع: مفاصل الأصابع، وعاري الأشاجع، أي: كان اللحم عليها قليلاً.

قال: الزهري توفي أبو بكر ﵁ يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة، وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر، وكان أوصى أن تغسله أسماء بنت عُميس، امرأته، فلما مات حُمل على السرير الذي كان ينام عليه النبي ﷺ ودفن في بيت عائشة ﵂ مع النبي ﷺ.

انظر ترجمته في: تاريخ الطبري (٣/٤٢٤) ط دار المعارف ـ مصر، صفة الصفوة (١/٢٣٦) ط دار المعرفة ـ بيروت، والاستيعاب (٣/٩٧٣) ط نهضة مصر، الإصابة (٢/٣٤٢) ط دار الجيل.

(٢) قال الواقدي: كان عمر بن الخطاب ﵁ أبيض، أمهق، تعلوه حُمرة، وكان يصفِّر لحيته، وكان يعمل بيديه جميعًا وكان أصلع، وكان عمر بن الخطاب ﵁ شديد البياض، وكان يأكل السمن واللبن، فلما أمحل الناس حرَّمهما على نفسه، وكان عام الرمادة وقال: والله، لا آكلهما حتى يُخْصِبَ الناس، وكان يأكل الزيت حتى تَغَيَّر لونه ﵁. (المجالسة وجواهر العلم (١٩٤) ط ابن الجوزي).

وانظر ترجمته في : تاريخ الطبري (٤/١٩٦).

وعثمان:[(١)] هو أبو عبد الله ذو النورين عثمان بن عفان من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، كان غنيًا سخيًا تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى إلى أن قتل شهيدًا في ذي الحجة سنة ٣٥هـ عن ٩٠ سنة على أحد الأقوال.

وعلي:[(٢)] وهو أبو الحسن علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، أول من أسلم من الغلمان، أعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه، وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنه، فكان هو الخليفة شرعًا إلى أن قتل شهيدًا في رمضان سنة ٤٠هـ عن ٦٣هـ سنة.

وأفضل هؤلاء الأربعة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: **«كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان»**[(٣)]

---

(١) جاء في وصفه: لم يكن بالطويل ولا بالقصير، وكان حسن الوجه، رقيق البشرة، كثير الشعر، عظيم اللحية، أسمر اللون، وكان يشُدُّ أسنانه بالذهب، وكان أصلع، أقنى، له جُمَّة أسفل من أذنيه، وزوجه النبي ﷺ ابنتيه: رقية وأم كلثوم، وهو من المهاجرين الأولين وكان هاجر إلى الحبشة ومعه رقية ابنة النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: **«إنهما لأول من هاجر إلى الله بعد إبراهيم ولوط»**، ثم هاجر إلى المدينة، فله هجرتان، واشترى بئر رومة بعشرين ألف درهم، فقال النبي ﷺ: **«من يزيد في مسجدنا»**؟ فاشترى عثمان موضع خمس سواري، فزاده في المسجد، وجهَّز جيش العسرة بتسع مئة وخمسين بعيرًا وأتمها ألفًا بخمسين فرسًا، وبويع عثمان في المحرم سنة أربع وعشرين وهو يومئذ ابن سبع وستين سنة، وقُتل وهو ابن ثنتين وثمانين سنة يوم الجمعة في ذي الحجة، ودفن بالبقيع وصلى عليه جبير بن مُطعم.

انظر: تاريخ دمشق (ص١٦ ـ ترجمة عثمان) وطبقات ابن سعد (٣/ ٢/ ١٢٧). وتاريخ الطبري (١/ ٣٠٥٤).

(٢) عن إسحاق بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي: كم كان سنُّ علي رضي الله عنه يوم قُتل؟ قال: ثلاث وستون؛ قلت: ما كانت صفته؟ فقال: كان آدم شديد الأدمة، عظيم البطن والعينين، أصلع إلى القصر ما هو، دقيق الذراعين، لم يصارع أحدًا قط إلا صرعه رضي الله عنه. (المجالسة وجواهر العلم «٢٦٤»). وانظر ترجمته في: تاريخ دمشق (٤٢/ ٢٤) وابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٧).

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٥٥) وأبو داود (٤٦٢٧).

رواه البخاري. ولأبي داود: **«كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان»**[(١)]. رواه الطبراني في رواية: **«فيسمع ذلك النبي ﷺ فلا ينكره»**[(٢)]. هذا ولم أجد اللفظ الذي ذكره المؤلف بزيادة على بن أبي طالب.

وأحقهم بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه أفضلهم وأسبقهم إلى الإسلام، ولأن النبي ﷺ قدمه في الصلاة ولأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على تقديمه ومبايعته، ولا يجمعهم الله على ضلالة.

ثم عمر رضي الله عنه؛ لأنه أفضل الصحابة بعد أبي بكر، ولأن أبا بكر عهد بالخلافة إليه.

ثم عثمان رضي الله عنه؛ لفضله وتقديم أهل الشورى له وهم المذكورون في هذا البيت:

علي وعثمان وسعد وطلحة ❖❖❖ زبير وذو عوف رجال المشورة

ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه. وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال فيهم النبي ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»**.

وقال: **«الخلافة بعدي ثلاثون سنة»**. رواه أحمد وأبو داود والترمذي. قال الألباني: وإسناده حسن. فكان آخرها خلافة علي. هكذا قال المؤلف وكأنه جعل خلافة الحسن تابعة لأبيه أو لم يعتبرها حيث أنه رضي الله عنه تنازل عنها.

فخلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال من ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ.

وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام من ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ إلى ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣هـ.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٢٨).

(٢) أورده الهيثمي مطولاً في المجمع (٩/٥٨) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه باختصار .. ورجاله ثقات.

وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتا عشرة سنة إلا اثنى عشر يومًا من ١ محرم سنة ٢٤هـ إلى ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥هـ.

وخلافة علي رضي الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهر من ١٩ ذي الحجة سنة ٣٥هـ إلى ١٩ رمضان سنة ٤٠هـ.

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام. ثم بويع الحسن بن علي رضي الله عنهما يوم مات أبوه علي رضي الله عنه وفي ربيع الأول سنة ٤١هـ سلم الأمر إلى معاوية، وبذلك ظهرت آية النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»، وقوله في الحسن: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[1]. رواه البخاري.

❖ **الشهادة بالجنة أو بالنار:**

الشهادة بالجنة أو بالنار ليس للعقل فيها مدخل فهي موقوفة على الشرع، فمن شهد له الشارع بذلك شهدنا له، ومن لا فلا، لكننا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء. وتنقسم الشهادة بالجنة أو بالنار إلى قسمين: عامة وخاصة.

فالعامة: هي المعلقة بالوصف، مثل أن نشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة أو لكل كافر بأنه في النار أو نحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سببًا لدخول الجنة أو النار.

والخاصة: هي المعلقة بشخص مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة أو لشخص معين بأنه في النار فلا نعين إلا ما عينه الله أو رسوله.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٠٤) وأبو داود (٤٦٦٢).

❖ **المعينون من أهل الجنة:**

المعينون من أهل الجنة كثيرون، ومنهم: العشرة المبشرون بالجنة وخصوا بهذا الوصف؛ لأن النبي ﷺ جمعهم في حديث واحد فقال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**». رواه الترمذي وصححه الألباني. وقد سبق الكلام على الخلفاء الأربعة، وأما الباقون فجمعوا في هذا البيت:

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة ❖❖❖ وعامر فِهْر والزبير المُمَدَّحُ

فطلحة: هو ابن عبيد الله من بني تيم بن مرة أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، قتل يوم الجمل في جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ عن ٦٤ سنة.

والزبير: هو ابن العوام من بني قصي بن كلاب، وابن عمة رسول الله ﷺ، انصرف يوم الجمل عن قتال علي فلقيه ابن جرموز فقتله في جمادى الأولى سنة ٣٦هـ عن ٦٧ سنة.

وعبد الرحمن بن عوف: من بني زهرة بن كلاب توفي سنة ٣٢هـ عن ٧٢ سنة ودفن بالبقيع.

وسعد بن أبي وقاص: هو ابن مالك من بني عبد مناف بن زهرة، أول من رمى بسهم في سبيل الله مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، ودفن بالبقيع سنة ٥٥هـ عن ٨٢ سنة.

وسعيد بن زيد: هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، كان من السابقين إلى الإسلام توفي بالعقيق ودفن بالمدينة سنة ٥١هـ عن بضع وسبعين سنة.

أبو عبيدة: هو عامر بن عبد الله بن الجراح من بني فهر، من السابقين إلى الإسلام، توفي في الأردن في طاعون عمواس سنة ١٨هـ عن ٥٨ سنة.

ومن شهد له النبي ﷺ بالجنة: الحسن والحسين وثابت بن قيس. قال النبي ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[١]. رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. قال ﷺ في ثابت بن قيس: «إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة»[٢]. رواه البخاري.

فالحسن: سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وهو أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولد في ١٥ رمضان سنة ٣هـ ومات في المدينة، ودفن في البقيع في ربيع الأول سنة ٥٠هـ.

والحسين: سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وهو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد في شعبان سنة ٤هـ وقتل في كربلاء في ١٠ محرم سنة ٦١هـ.

وثابت: وهو ابن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار، قتل شهيدًا يوم اليمامة سنة ١١هـ في آخرها أو أول سنة ١٢هـ.

❖ **المعينون من أهل النار في الكتاب والسنة:**

من المعينين بالقرآن: أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان لقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (سورة المسد:١). إلى آخر السورة.

ومن المعينين بالسنة: أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب لقول النبي ﷺ: «أهون أهل النار عذابًا أبو طالب وهو منتعل نعلين يغلي منهما دماغه»[٣].

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٦٨) وابن ماجة (١١٨) وأحمد (٣/٣).
(٢) متفق عليه: البخاري (٣٦١٣) ومسلم (١١٩).
(٣) متفق عليه: البخاري (٦٥٦٤) ومسلم (٢١٢).

ومنهم: عمرو بن عامر بن لحى الخزاعي قال النبي ﷺ: «رأيته يجر أمعاءه في النار»[1]. رواه البخاري وغيره.

❖ تكفير أهل القبلة بالمعاصي:

أهل القبلة: هم المسلمون المصلون إليها لا يكفرون بفعل الكبائر، ولا يخرجون من الإسلام بذلك، ولا يخلدون في النار: لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (سورة الحجرات:٩). إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (سورة الحجرات:١٠). فأثبت الأخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكبائر، ولو كان كفرًا لانتفت الأخوة الإيمانية[2].

وقال النبي ﷺ يقول الله تعالى: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ـ يعني ـ من النار»[3]. متفق عليه. وخالف في هذا طائفتان:

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٥٢١) ومسلم (٢٨٥٦).

(٢) **قال العلامة ابن جبرين ـ حفظه الله ـ:**

«وأما التكفير بالذنوب لأهل القبلة ـ أي: أهل الإسلام، واستقبال القبلة في الصلاة والحج ونحوها ـ فلا يجوز تكفيرهم بمجرد عمل ذنب كبير ونحوه، وما ورد من نصوص الوعيد فإنا نجريها على ظاهرها، ليكون أبلغ في الزجر عن تلك المآثم، مع اعتقادنا أنه لا يخرج بها من الدين، ولا يُخلَّد في النار، ونقول في جنس أهل الكبائر إنهم مؤمنون ناقصو الإيمان، أو فاسقون بكبائرهم، وهم في الآخرة تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم، ثم مآلهم إلى دخول الجنة، خلافًا للخوارج الذين يكفِّرون بالذنوب، ويستحلون دماء أهل الكبائر وأموالهم، وللمعتزلة الذين يخرجون العاصي من الإسلام، ولا يُدخلونه في الكفر، وهو في الآخرة عند الخوارج والمعتزلة مخلد في النار، وأنكروا أحاديث الوعد والشفاعة ونحو ذلك» أهـ. (التعليقات: ص١٧٢).

(٣) متفق عليه: البخاري (٢٢) ومسلم (١٨٤).

الأولى ـ الخوارج:[(١)]

قالوا: فاعل الكبيرة كافر خالد في النار.

الثانية ـ المعتزلة:[(٢)]

قالوا: فاعل الكبيرة خارج عن الإيمان ليس بمؤمن ولا كافر، في منزلة بين منزلتين، وهو خالد في النار. ونرد على الطائفتين بما يأتي:

١ ـ مخالفتهم لنصوص الكتاب والسنة.

٢ ـ مخالفتهم لإجماع السلف.

❖ حقوق الصحابة رضي الله عنهم:

للصحابة ﷺ فضل عظيم على هذه الأمة، حيث قاموا بنصرة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وحفظ دين الله بحفظ كتابه وسنة رسوله ﷺ علمًا وعملاً وتعليمًا حتى بلغوه الأمة نقيًا طريًا.

---

(١) **الخوارج:** ويقال لهم النواصب، والحرورية نسبة إلى الموضع الذي خرج فيه أولهم على علي بن أبي طالب ﷺ بعد أن أجبروه على قبول التحكيم مع معاوية بن أبي سفيان ﷺ وعندما قبله طلبوا منه أن يرفضه ويتوب معللين لذلك بأنه كفر بسبب التحكيم، كما كفروا هم وتبايعوا، وقد انقسم الخوارج إلى عشرين فرقة، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب ﷺ، وتكفير أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنَّة حقًا واجبًا.
انظر: الملل والنحل (١/ ١١٤)، الفَرق بين الفِرق (ص٢٤-٢٧).

(٢) **المعتزلة:** ويتسمون بأصحاب التوحيد، ويلقبون بالقدرية، والعدلية، واختلف في وقت ظهور المعتزلة، فيرى البعض أن ظهورهم بدأ في قوم من أصحاب علي بن أبي طالب ﷺ حيث تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ فاعتزلوا السياسة، وانصرفوا إلى العقائد، وأكثر العلماء على أن رأس المعتزلة واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد وأصحابهما، وتنبني عقيدة المعتزلة على أصولهم الخمسة وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإثبات الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد افترق المعتزلة إلى عشرين فرقة، كل فرقة تكفر سائر الفرق الأخرى.
انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ٣٣٧)، الملل والنحل (١/ ٤٣).

وقد أثنى الله عليهم في كتابه أعظم ثناء حيث يقول في سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ (سورة الفتح: ٢٩). إلى آخر السورة.

وحمى رسول الله حمى كرامتهم حيث يقول ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**[1]. متفق عليه.

فحقوقهم على الأمة من أعظم الحقوق فلهم على الأمة:

١ ـ محبتهم بالقلب والثناء عليهم باللسان بما أسدوه من المعروف والإحسان.

٢ ـ الترحم عليهم والاستغفار لهم تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحشر: ١٠).

٣ ـ الكف عن مساوئهم التي إن صدرت عن أحد منهم فهي قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل، وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور لقوله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي»**. الحديث.

❖ حكم سب الصحابة:

سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول ـ أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم أو أن عامتهم فسقوا فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار أو فساق.

الثاني ـ أن يسبهم باللعن والتقبيح ففي كفره قولان لأهل العلم وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١).

الثالث ـ أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجبن والبخل فلا يكفر ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك.

ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الصارم المسلول» ونقل عن أحمد في (ص٥٧٣) قوله: (لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدب فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع).

❖ حقوق زوجات النبي ﷺ:

زوجات النبي ﷺ زوجاته في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين، ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين، فهن من آل بيته، طاهرات مطهرات، طيبات مطيبات بريئات مبرءات من كل سوء يقدح في أعراضهن وفرشهن، فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات، رضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين، وصلى الله وسلم على نبيه الصادق الأمين.

❖ زوجاته ﷺ اللاتي كان فراقهن بالوفاة وهن:

١ ـ خديجة بنت خويلد، أم أولاده ما عدا إبراهيم تزوجها رسول الله ﷺ بعد زوجين عتيق بن عابد والثاني أبو هالة التميمي ولم يتزوج ﷺ عليها حتى ماتت سنة ١٠ من البعثة قبل المعراج.

٢ ـ عائشة بنت أبي بكر الصديق، أُريها ﷺ في المنام مرتين أو ثلاثًا وقيل: هذه امرأتك فعقد عليها ـ ولها ست سنين ـ بمكة، ودخل عليها في المدينة ولها تسع سنين، توفيت سنة ٥٨هـ.

٣ ـ سودة بنت زمعة العامرية، تزوجها بعد زوج مسلم هو: السكران بن عمرو، أخو سهيل بن عمرو، توفيت آخر خلافة عمر وقيل: سنة ٥٤هـ.

٤ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب، تزوجها ﷺ بعد زوج مسلم هو: خنيس بن حذافة الذي قتل في أحد وماتت سنة ٤١هـ.

٥ ـ زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، تزوجها بعد استشهاد زوجها عبد الله ابن جحش في أحد، وماتت سنة ٤هـ بعد زواجها بيسير.

٦ ـ أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، تزوجها بعد موت زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد من جراحة أصابته في أحد، وماتت سنة ٦١هـ.

٧ ـ زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته ﷺ، تزوجها بعد مولاه زيد بن حارثة سنة ٥هـ، وماتت سنة ٢٠هـ.

٨ ـ جويرية بنت الحارث الخزاعية، تزوجها بعد زوجها مسافع ابن صفوان وقيل: مالك بن صفوان سنة ٦هـ وماتت سنة ٥٦هـ.

٩ ـ أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، تزوجها بعد زوج أسلم ثم تنصر هو عبيد الله بن جحش، وماتت في المدينة في خلافة أخيها سنة ٤٤هـ.

١٠ ـ صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير من ذرية هارون بن عمران ﷺ، أعتقها وجعل عتقها صداقها بعد زوجين أولهما سلام بن مشكم والثاني كنانة بن أبي الحقيق بعد فتح خيبر سنة ٦هـ، وماتت سنة ٥٠هـ.

١١ ـ ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوجها سنة ٧هـ في عمرة القضاء بعد زوجين الأول ابن عبد ياليل والثاني أبو رهم بن عبد العزى، بنى بها في سرف وماتت فيه سنة ٥١هـ.

فهذه زوجات النبي ﷺ اللاتي كان فراقهن بالوفاة، اثنتان توفيتا قبله وهما: خديجة وزينب بنت خزيمة، وتسع توفي عنهن وهن البواقي. وبقي اثنتان لم يدخل بهما ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت للسابقات وهما:

١ ـ أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها النبي ﷺ ثم فارقها، واختلف في سبب الفراق فقال ابن اسحق: إنه وجد في كشحها بياضًا ففارقها، فتزوجها بعده المهاجر بن أبي أمية.

٢ ـ أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية، وهي التي قالت: أعوذ بالله منك ففارقها والله أعلم.

وأفضل زوجات النبي ﷺ خديجة وعائشة ﵄، ولكل منهما مزية على الأخرى، فلخديجة في أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة والنصرة، ولعائشة في آخرالأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم ونفع الأمة، وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك في سورة النور.

❖ **قذف أمهات المؤمنين:**

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر لأنه تكذيب للقرآن. وفي قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم: أصحهما: أنه كفر لأنه قدح في النبي ﷺ فإن الخبيثات للخبيثين.

❖ **معاوية بن أبي سفيان:**

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، ولد قبل البعثة بخمس سنين وأسلم عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه، ولاه عمر الشام واستمر عليه وتسمى بالخلافة بعد الحكمين عام ٣٧هـ، واجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن بن علي سنة ٤١هـ، كان يكتب للنبي ﷺ ومن جملة كتاب الوحي، توفي في رجب سنة ٦٠هـ عن ٧٨ سنة، وإنما ذكره المؤلف وأثنى عليه للرد على الروافض الذين يسبونه ويقدحون فيه، وسماه خال المؤمنين لأنه أخو أم حبيبة إحدى أمهات المؤمنين، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢/ ٢٩٩) نزاعًا بين العلماء هل يقال لأخوة أمهات المؤمنين أخوال المؤمنين أم لا؟

❖ **الخلافة:**

الخلافة منصب كبير ومسئولية عظيمة وهي تولي تدبير أمور المسلمين بحيث يكون هو المسئول الأول في ذلك. وهي فرض كفاية لأن أمور الناس لا تقوم إلا بها. وتحصيل الخلافة بواحدة من أمور ثلاثة:

الأول - النص عليه من الخليفة السابق كما في خلافة عمر بن الخطاب فإنها بنص من أبي بكر رضي الله عنه.

الثاني - اجتماع أهل الحل والعقد سواء كانوا معينين من الخليفة السابق كما في خلافة عثمان رضي الله عنه، فإنها باجتماع من أهل الحل والعقد المعينين من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أم غير معينين كما في خلافة أبي بكر رضي الله عنه على أحد الأقوال، وكما في خلافة علي رضي الله عنه.

الثالث - القهر والغلبة كما في خلافة عبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير وتمت الخلافة له.

❖ **حكم طاعة الخليفة:**

طاعة الخليفة وغيره من ولاة الأمور واجبة في غير معصية الله. لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ (سورة النساء:٥٩). ولقوله ﷺ: «**السمع والطاعة على المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[١]. متفق عليه.

وسواء كان الإمام براً - وهو القائم بأمر الله فعلاً وتركاً - أو فاجراً - وهو الفاسق - لقوله ﷺ: «**إلا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة**»[٢]. رواه مسلم.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢٩٥٥) ومسلم (١٨٣٩).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٨٥٥).

والحج والجهاد مع الأئمة ماضيان نافذان، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة سواء كانوا أبرارًا أو فجارًا؛ لأن مخالفتهم في ذلك توجب شق عصا المسلمين والتمرد عليهم.

والحديث الذي ذكره المؤلف: «ثلاث من أصل الإيمان» إلخ، ضعيف كما رمز له السيوطي في الجامع الصغير وفيه راوٍ، قال المزي: إنه مجهول وقال المنذري في مختصر أبي داود: شبه مجهول.

والثلاث الخصال المذكورة فيه هي: الكف عمن قال: لا إله إلا الله، والثانية ـ الجهاد ماض . . إلخ، والثالثة ـ الإيمان بالأقدار.

والخروج على الإمام محرم:

لقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثره علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**»[1]. متفق عليه.

وقل ﷺ: «**يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا ما صلوا، لا ما صلوا**»[2]. أي: من كره بقلبه وأنكر بقلبه. رواه مسلم.

ومن فوائد الحديثين: أن ترك الصلاة كفر بواح؛ لأن النبي ﷺ لم يجز الخروج على الأئمة إلا بكفر بواح، وجعل المانع من قتالهم فعل الصلاة فدل على أن تركها مبيح لقتالهم، وقتالهم لا يباح إلا بكفر بواح كما في حديث عبادة.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٧٠٩).
(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٨٥٤).

❖ **هجران أهل البدع:**

الهجران مصدر هجر وهو لغة: الترك. والمراد بهجران أهل البدع: الابتعاد عنهم وترك محبتهم وموالاتهم والسلام عليهم وزيارتهم وعيادتهم ونحو ذلك. وهجران أهل البدع واجب لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (سورة المجادلة: ٢٢). ولأن النبي ﷺ هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك.

لكن إن كان في مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك وربما يكون ذلك مطلوبًا لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: ١٢٥). وهذا قد يكون بالمجالسة والمشافهة وقد يكون بالمراسلة والمكاتبة.

ومن هجر أهل البدع: ترك النظر في كتبهم خوفًا من الفتنة بها أو ترويجها بين الناس فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب لقوله ﷺ في الدجال: **«من سمع به فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات»**[(١)]. رواه أبو داود. قال الألباني: وإسناده صحيح.

لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك، لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به وكان قادرًا على الرد عليهم، بل ربما كان واجبًا؛ لأن رد البدعة واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

❖ **الجدال والخصام في الدين:**

الجدال: مصدر جادل، والجدال: منازعة الخصم للتغلب عليه، وفي القاموس: الجدل: اللدد في الخصومة، والخصام: المجادلة، فهما بمعنى واحد.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣١٩) وأحمد (٤/ ٤٣١).

❖ **وينقسم الخصام والجدال في الدين إلى قسمين:**

الأول - أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل، وهذا مأمور به إما وجوبًا أو استحبابًا بحسب الحال لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: ١٢٥).

الثاني - أن يكون الغرض منه التعنيت أو الانتصار للنفس أو للباطل فهذا قبيح منهي عنه لقوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (سورة غافر: ٤). وقوله: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (سورة غافر: ٥).

❖ **علامة أهل البدع وذكر بعض طوائفهم:**

لأهل البدع علامات منها:

١ - أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة بما يحدثونه من البدع القولية والفعلية والعقيدية.

٢ - أنهم يتعصبون لآرائهم فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم.

٣ - أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين.

❖ **ومن طوائفهم:**

١ - الرافضة: وهم يغلون في آل البيت ويكفرون من عداهم من الصحابة أو يفسقونهم، وهم فرق شتى فمنهم الغلاة الذين ادعوا أن عليًا إله ومنهم دون ذلك.

وأول ما ظهرت بدعتهم في خلافة علي بن أبي طالب حين قال له عبد الله بن سبأ: أنت الإله، فأمر علي رضي الله عنه بإحراقهم وهرب زعيمهم عبد الله بن سبأ إلى المدائن. ومذهبهم في الصفات مختلف فمنهم المشبه ومنهم المعطل ومنهم المعتدل.

وسموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فترحم عليهما فرفضوه وأبعدوا عنه.

وسموا أنفسهم شيعة لأنهم يزعمـون أنهم يتشيعون لآل البيت، وينتصرون لهم، ويطالبون بحقهم في الإمامة[١].

٢ـ **الجهمية**: نسبة إلى الجهم بن صفـوان الذي قتله سالم أو سلم بن أحوز سنة ١٢١هـ. مذهبهم في الصفات التعطيل والنفي، وفي القدر القول بالجبر، وفي الإيمان القول بالإرجاء وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القول والعمل من الإيمان، ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، فهم معطلة جبرية مرجئة وهم فرق كثيرة.

٣ـ **الخوارج**: وهم الذين خـرجـوا لقتـال علي بن أبي طالب بسـبب التـحكيم. مذهبهم التبرؤ من عثمان وعلي، والخروج على الإمام إذا خالف السنة، وتكفير فاعل الكبيرة وتخليده في النار، وهم فرق عديدة.

٤ـ **القدرية**: وهـم الذين يقولون بنفي القـدر عن أفعال العبـد، وأن للعبد إرادة وقدرة مسـتقلين عن إرادة الله وقدرته، وأول من أظهـر القول به معبـد الجهني في أواخر عـصـر الصحابة تلقـاه عن رجل مجوسي في البـصرة. وهم فرقتـان: غلاة وغير غلاة.

فالغلاة: ينكرون علم الله وإرادته وقدرته وخلقه لأفعال العبد وهؤلاء انقرضوا أو كادوا.

وغير الغلاة: يؤمنون بأن الله عالم بأفـعال العباد لكن ينكرون وقـوعها بإرادة الله وقدرته وخلقه، وهو الذي استقر عليه مذهبهم.

٥ـ **المرجئة**: وهـم الذين يقولون بإرجاء العـمل عن الإيمان أي: تأخيره عنه فليس العمل عندهم من الإيمان والإيمان مجرد الإقرار بالقلب، فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعـاصي أو ترك ما ترك من الطاعات، وإذا حكمنا بكفر

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٨)، الملل والنحل (١/ ١٥٤).

من ترك بعض شـرائع الدين فـذلك لعدم الإقـرار بقلبـه لا لترك هذا العـمل، وهذا مذهب الجهمية وهو مع مذهب الخوارج على طرفي نقيض[1].

٦ـ **المعتزلة**: أتباع واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحـسن البصري وقرر أن الفاسق في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كـافر وهو مخلد في النار، وتابعـه في ذلك عمرو بن عبيـد. ومذهبهم في الصفات التـعطيل كالجهمية وفي الـقدر قدرية ينكرون تعلق قضـاء الله وقدره بأفـعال العبـد، وفي فاعل الكبـيرة أنه مخلد فـي النار وخارج من الإيمان في منزلة بين منزلتين الإيمان والكفر، وهم عكس الجهمية في هذين الأصلين.

٧ـ **الكرامية**: أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ، يميلون إلى التشبيه والقول بالإرجاء وهم طوائف متعددة.

٨ـ **السالمة**: أتباع رجل يقال له ابن سالم، يقولـون بالتشبيه. وهذه هي الطوائف التي ذكـرها المؤلف ثم قـال: ونظائرهم مـثل الأشـعـرية أتبـاع أبي الحـسن علي بن إسماعيل الأشعري، كان في أول أمـره يميل إلى الاعتزال حتى بلغ الأربعين من عمره ثم أعلن توبته من ذلك، وبين بطلان مذهب المعتزلة وتمسك بمذهب أهل السنة رحمه الله، أما من ينتسبون إليه فبقوا على مـذهب خاص يعرف بمذهب الأشعرية لا يثبتون من الصفات إلا سبعًا زعمـوا أن العقل دل عليها ويؤولون ما عداها وهي المذكورة في هذا البيت:

حـي عليـم قـدير والكـلام لـه ❖❖❖ إرادة وكـذاك السـمع والبـصـر

ولهم بدع أخرى في معنى الكلام والقدر وغير ذلك.

❖ **الخلاف في الفروع:**

الفروع: جمع فـرع، وهو لغة: مـا بني على غيـره، واصطلاحًا: ما لا يـتعلق بالعقائد كمسائل الطهارة والصلاة ونحوها.

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١٣٩)، الفَرق بين الفِرق (ص٢٠٣).

والاختلاف فيها ليس بمذموم حيث كان صادرًا عن نية خالصة واجتهاد لا عن هوى وتعصب؛ لأنه وقع في عهد النبي ﷺ ولم ينكره حيث قال في غزوة بني قريظة: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فحضرت الصلاة قبل وصولهم فأخر بعضهم الصلاة حتى وصلوا بني قريظة، وصلى بعضهم حين خافوا خروج الوقت، ولم ينكر النبي ﷺ على واحد منهم[1]. رواه البخاري. ولأن الاختلاف فيها موجود في الصحابة وهم خير القرون، ولأنه لا يورث عداوة ولا بغضاء ولا تفرق كلمة بخلاف الاختلاف في الأصول.

وقول المؤلف: (المختلفون فيه محمودون في اختلافهم): ليس ثناء على الاختلاف فإن الاتفاق خير منه، وإنما المراد به نفي الذم عنه وإن كان واحدًا محمود على ما قال؛ لأنه مجتهد فيه مريد للحق فهو محمود على اجتهاده واتباع ما ظهر له من الحق وإن كان قد لا يصيب الحق.

وقوله: (إن الاختلاف في الفروع رحمة وإن اختلافهم رحمة واسعة): أي داخل في رحمة الله وعفوه حيث لم يكلفهم أكثر مما يستطيعون ولم يلزمهم بأكثر مما ظهر لهم، فليس عليهم حرج في هذا الاختلاف بل هم فيه داخلون تحت رحمة الله وعفوه إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد.

❖ الإجماع وحكمه:

الإجماع لغة: العزم والاتفاق.

واصطلاحًا: اتفاق العلماء المجتهدين من أمة محمد ﷺ على حكم شرعي بعد النبي ﷺ.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٩٤٦) ومسلم (١٧٧٠).

وهو حجة لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (سورة النساء: ٥٩)[1]. وقول النبي ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»[2]. رواه الترمذي.

❖ التقليد:

التقليد لغة: وضع القلادة في العنق، واصطلاحًا: اتباع قول الغير بلا حجة. وهو جائز لمن لا يصل إلى العلم بنفسه لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل: ٤٣).

❖ والمذاهب المشهورة أربعة:

المذهب الحنفي: وإمامه أبو حنيفة النعمان بن ثابت، إمام أهل العراق ولد سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٥٠هـ.

المالكي: وإمامه أبو عبد الله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة ولد سنة ٩٣هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ.

الشافعي: وإمامه أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ولد سنة ١٥٠هـ وتوفي سنة ٢٠٤هـ.

الحنبلي: وإمامه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ولد سنة ١٦٤هـ وتوفي سنة ٢٤١هـ.

وهناك مذاهب أخرى كمذهب الظاهرية والزيدية والسفيانية وغيرهم. وكل يؤخذ من قوله ما كان صوابًا، ويترك من قوله ما كان خطأ، ولا عصمة إلا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) هو حجة عند جمهور الأمة خلافًا للخوارج، والروافض. وإجماع كل عصر حجة لا يشترط الأمة إلى يوم القيامة لانتفاء فائدة الإجماع ولا يشترط إنقراض العصر خلافًا لقوم.
وقال داود الظاهري: إجماع غير الصحابة ليس بحجة، ولا يُعتبر إجماع العوام خلافًا للقاضي أبي بكر.
انظر: روضة الناظر (٢/ ٣٣١) المحصول (٢/ ١/ ٢٧٨) إرشاد الفحول (ص٨٣).

(٢) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٢١٦٧).

نسأل الله أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وأن يتوفانا على ذلك وأن يتولانا في الدنيا والآخرة، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

والحمد لله كثيرًا كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه عزَّ جلاله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

تم في عصر الجمعة الموافق ١٠/١/١٣٩٢هـ.

بقلم مؤلفه الفقير إلى الله تعالى

محمد بن صالح العثيمين

الفهـــرس

الموضـــوع | صفحة

الموضـــوع | صفحة